العلاقات السياسية بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين

(225هـ/839م إلى 340هـ/352م)

إعداد الطالب

مفتاح عيسى مفتاح بوادبرة

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الفتاح رجب بولبيض

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

جـامعة بنغازي

كليـة الآداب

ديسمبر 2018م

جامعة بنغازي **كلية الآداب**

قسم التاريخ

العلاقات السياسية بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين

(225هـ/839م إلى 340هـ/352م)

اعداد

مفتاح عيسى مفتاح بوادبرة

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ: **12/ 12/ 2018م**

تحت اشراف

د.عبدالفتاح رجب بولبيض

التوقيع :...

الدكتور: زكية بن ناصر **(ممتحنا داخليا)**

التوقيع :..

الدكتور : محمد سعيد بوحليقة **(ممتحنا خارجيا)**

التوقيع :..

عميد الكلية **مدير ادارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية 11

الإهـــــــداء

إلى منارة العلم والعالمين إلى سيد الخلق أجمعين أمام

المرسلين إلى معلم المتعلمين وخاتم النبيين

سيدنا محمد –ﷺ–

أهدي هذا العمل إلى كل من

أبي

العزيز أمده الله بالصحة والعافية وطول العمر

روح أمي

الطاهرة داعياً لها بالمغفرة والرحمة

زوجتي

نبع الحنان والعطف وروح قلبي وجوهرة زماني

أبنائي

آمنه وشعيب

ضياء دنيتي وشموعها

الشكر والتقدير

الشكر والتقدير أولا وأخيرا لله سبحانه وتعالى الذى وفقنا لإتمام هذا البحث ويسر لنا أمرنا

واعترافا بالفضل والجميل أتوجه بخالص الشكر وعميق التقدير والامتنان الي

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح رجب بولبيض

الذي اشرف على هذا العمل، وكان له الفضل الكبير في إرشادي الى الطريق الصحيح، وتعهد هذا العمل بالتصويب في جميع مراحل انجازه وأعطاني من وقته الثمين ما ذلل الطريق وساهم في إظهار رسالتي بهذه الصورة،

فجزاه الله كل الخير

وكذلك الدكتور علي حسين الشطشاط

عرفانا بالجميل داعياً الله عز وجل أن يكللاهما برعايته وحفظه

والى كل من قدم لي يد العون ولو بكلمة طيبة وجزاهم عنى خير الجزاء .

فهرس المحتويات

العلاقات السياسية بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين
(225هـ/839م إلى 340هـ/352م)

إعداد الطالب :

مفتاح عيسى مفتاح بوادبرة

إشراف الأستاذ الدكتور :

عبد الفتاح رجب بولبيض

الملخص

من خلال ما سبق يتضح أن الدولة البيزنطية كانت تعتقد أنها عن طريق السلك الدبلوماسي الذي أخذت هي المبادرة به تستطيع أن تصل بتفاهيمها مع حكومة قرطبة الإسلامية إلى بعض النتائج العملية في مقاومة خصيمتها الدولة العباسية ولكنها فشلت في ذلك بسبب حرمة معاونة المسلم لغير المسلم وهذا يجعل الارتباط بين العالم الإسلامي أقوى من أي تحالف مهما كانت مقوماته .

وخلاصة القول لا يمكن أن ننكر عدم وجود أي مهلة أو علاقة سياسية، لأننا نعلم عن طريق المصادر الإسلامية أنه حدث اتصال وليس تحالف دون توضيح أكثر والقول بوجود تحالف يستوجب دليل ولا دليل على ذلك .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

عندما أرسل سيدنا محمد –ﷺ– برسالة سماوية، اضطهد من قبل بعض كفار قريش في مكة فهاجر إلى يثرب التي عرفت فيما بعد بالمدينة المنورة، ليؤسس بها دولة قدر لها أن تقود العالم. وبعد وفاة الرسول –ﷺ– سنة 11هـ/632م بدأ عصر الخلافة الراشدة بأبي وبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على –رضي الله عنهم– وفي سنة 40هـ/661م بدأ عصر أخر وهو عصر الخلافة الأموية في دمشق والذي كان من حيث الفتوحات امتداداً لعصر الخلافة الراشدة فسيطرت على المغرب الإسلامي وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً. وعندما تمت السيطرة عليه على يد القائد موسى بن نصير أرسل إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يستأذنه في فتح الأندلس فأذن له وامره أن يخوضها بسرايا حتى يختبرها وكان أول المجتازين طريف بن مالك المعافري ثم أرسل طارق بن زياد فعبر المضيق الذي عرف باسمه فيما بعد ولحق به موسى بن نصير واستطاع المسلمون فتح الأندلس سنة 92هـ/711م وصارت الأندلس ولاية إسلامية تابعة للدولة الأموية في دمشق حيث لم يعرف العالم الإسلامي وقتها إلا خلافة واحدة وهي خلافة بني أمية في دمشق والذي حدث بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين سنة 132هـ/750م. لم يسيطر العباسيون على كل الأقاليم التي كانت خاضعة للدولة الأموية ومن بينها الأندلس التي فرّ إليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل متخفياً خوفاً من بطش العباسيين ونصب نفسه أميراً على الأندلس سنة 138هـ/755م وأصبحت الأندلس إمارة أموية مستقلة سياسياً عن الدولة العباسية. حاول العباسيون استرجاع الأندلس ولكنهم لم يفلحوا في ذلك والسبب بعد المسافة بين المشرق الإسلامي والأندلس فرضخوا للأمر الواقع وانشغلوا بالأمور الداخلية لدولتهم.

من هنا أعطيت فرصة لتعدد الزعامات في العالم الإسلامي ولكن أمراء بني أمية في الأندلس اكتفوا بلقب أمير ولم يعلنوا الخلافة رغم استقلالهم بالأندلس قرابة القرنين من الزمان

حيث قامت الخلافة الفاطمية في أفريقية سنة 297هـ/909م، ثم أعلن عبد الرحمن الناصر فيما بعد الخلافة الأموية في الأندلس سنة 316هـ/928م وبذلك كسر القاعدة الإسلامية التي تقضي بوجود خليفة واحد يدير العالم الإسلامي فتضاربت المصالح واصبح العالم الإسلامي متعدد الزعامات كل منها تسعى لتحقيق أهدافها على حساب كل شيء حتى وإن كان التحالف مع أعداء الإسلام. وينطبق الأمر كذلك في أوروبا حيث تعددت الزعامات.

ففي الشرق الأوربي الدولة البيزنطية التي هي في عداء مستمر مع الدولة العباسية والفرنجية أما في الغرب فوجد ملوك الفرنجة ومن المعروف عنهم العداء القائم بينهم وبين الأمويين في الأندلس وأعداء الأمويين هم العباسيون لذلك حدث التقارب العباسي الفرنجي وتبادلوا الهدايا والسفارات ومن أشهرها هدية الساعة التي اهداها الخليفة هارون الرشيد إلى ملك الفرنجة شارلمان.

في المقابل تبادل الأمويون في الأندلس مع البيزنطيين السفارات والهدايا وهذا التقارب لخدمة مصالح خاصة لكلتا الدولتين على الرغم من بعد المسافة بينهما ويمكن تعليل هذا التقارب لمواجهة العدو المشترك وهو (العباسيون) الذين لم تتوقف حملاتهم على الدولة البيزنطية وازداد توغلهم حتى دخلوا اسيا الصغرى ووصلوا البسفور سنة 166هـ/782م.

كما شكلت الدولة العباسية للأمويين عدواً دائماً يرغب في القضاء عليهم إلى ان ظهرت الدولة الفاطمية في شمال إفريقية (297هـ/909م) واستولوا على صقلية وأخذت تهدد الوجود البيزنطي والأموي معاً، فسعت للقضاء على الوجود البيزنطي في جنوب إيطاليا.

كذلك هدد الفاطميون الدولة الأموية في الأندلس وحاولوا ضمها إلى دولتهم الناشئة وبالتالي أصبح من الضروري تعاون القوى البحرية الأندلسية والبيزنطية في مواجهة هذا الخطر الجديد في المنطقة.

وهناك سبب آخر للتقارب البيزنطي الأموي وهو رغبة البيزنطيين كسب ود الأمويين في الأندلس للوقوف معهم في حربهم ضد مسلمي كريت وأن تمنع الإمدادات الأموية عنهم حتى تستطيع طردهم من الجزيرة كما أن الأندلس قد بلغت من القوة والزعامة في العالم العربي والإسلامي ما دفعها إلى تقوية صلاتها بالعالم الخارجي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة العلاقات السياسية بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين في توضيح الدور المهم الذي لعبته كلتا الدولتين في السياسة العالمية خاصة وأن الأندلس استقلت عن الدولة الإسلامية في المشرق وأهتمت بالأسطول البحري حيث دعمت العديد من الجزر مثل كريت وأصبحت ذات ثقل سياسي.

الهدف من الدراسة:

1- إبراز أهم جوانب هذه العلاقة وأسباب قيامها مع الدولة البيزنطية.

2- تحديد مدى قوة هذه العلاقة ونتائجها على الطرفين.

3- توضح للأجيال القادمة أن أي انقسامات داخلية تفرز تحالفات مع الأعداء يترتب عليها توقف المد الإسلامي وضعف سياسي واقتصادي.

أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختياري لهذا الموضوع يرجع لأسباب شخصية وعلمية.

أولاً- الأسباب الشخصية:-

وهي اهتمامي منذ دراستي الجامعية بالعلاقات الدولية وخاصة العلاقات الأندلسية البيزنطية وقد نمى هذا الاهتمام أثناء دراستي العليا في التاريخ الإسلامي.

ثانياً- الأسباب العلمية:-

1- توضيح الدور المهم الذي لعبته كلتا الدولتين في تلك الفترة.

2- توافر المصادر التي دفعتني لدراسة هذا الموضوع.

3- إبراز ما لهذه العلاقة من دور كبير في تاريخ حوض البحر المتوسط.

تساؤلات الدراسة:

1- ما هي أهم الدوافع السياسية وراء تقارب الأمويين في الأندلس مع البيزنطيين؟

2- ما نوع هذه العلاقة، وهل حققت الأهداف التي قامت من أجلها؟

3- هل كان الأمويون على قناعة تامة بهذا العلاقة، أم أن المصالح فرضت عليهم هذه العلاقة؟

4- لماذا اختار الأمويون التحالف مع البيزنطيين ضد العباسيين مع وجود دولة الفاطميين في المغرب وهي على عداء مع العباسيين فما هو المانع أن يكون التحالف أموي فاطمي؟

المنهجية المتبعة في الدراسة:

من خلال هذا البحث ستكون المنهجية المتبعة بحسب ما تقضيه الدراسة الاعتماد على المنهج السردي التاريخي لتبين الأحداث المهمة ثم تحليلها ودراستها.

الدراسات السابقة:

على الرغم من وجود عدد من الدراسات التي تناولت طبيعة العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي خلال العصور الوسطى ألا أنها جاءت بشكل عام، ومن ضمن الذين تناولوا الفترة الزمنية الباحث الدكتور سليمان ضفيدع الرحيلي في رسالته الموسومة السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، سفارات الدول العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس، وهي رسالة دكتوراه قدمت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لسنة 1406هـ/1986م.

خطة البحث:

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وقائمة من المصادر والمراجع.

الفصل الأول:

سأتناول فيه الأوضاع السياسية الخاصة بكلتا الدولتين الإسلامية في الأندلس والبيزنطية قبيل قيام السفارة البيزنطية سنة 225هـ إلى الأندلس وأهم الأحداث الداخلية والخارجية التي أسهمت في حصول هذه السفارة.

الفصل الثاني:

سأتطرق فيه إلى السفارات بشكل عام كمفهوم السفارة والسفير والشروط التي يختار على أساسها ومراسم الاستقبال والتوديع وما يحمله السفير من هدايا ورسائل كذلك الحصانة التي تمنح له وأنواع وأهداف السفارات.

الفصل الثالث:

سأتعرض إلى السفارة البيزنطية إلى الأندلس التي أرسلها الإمبراطور توفلس تحمل رسالة وهدايا مع سفيرة (اقريطس) سنة 225هـ إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ورد الأمير على هذه السفارة بسفارة تزعمها يحي الغزال تحمل هدايا ورسالة إلى الإمبراطور البيزنطي وكذلك في عهد الخلافة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي يتبادل السفارات مع أباصره بيزنطي.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في كلتا الدولتين قبيل السفارة البيزنطية إلى الأندلس سنة (225هـ840م)

المبحث الأول: في الأندلس

المبحث الثاني: في الدولة البيزنطية

المبحث الأول

في دولة الأندلس

سأتناول في هذا المبحث أهم المشاكل التي واجهة الحكم الأموي خلال الفترة القريبة من موضوع دراستي وهي فترة حكم الأمير الحكم الأول ابن هشام (الربضي) الذي حكم سنة (180-206هـ/796-821م) وفترة حكم الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام المعروف بالأوسط والذي حكم من سنة (206-238هـ/821-852م) ويمكن تلخيص تلك المشاكل في النقاط التالية :

- كثرة الفتن والثورات الداخلية.
- اهتمامه بالغزو والجهاد حتة فاق من سبقه من بني أمية.
- عدم أكترثه برجال الدين والفقهاء. فغضبوا عليه وعارضوه(1).

وخاصة مشكلة الربض التي تعتبر أحد دوافع الاتصال البيزنطي الأموي خلال تلك الفترة والتي ستتم مناقشتها بتفصيل أكثر.

اهتم بتحسين الأوضاع العسكرية، مثل إعداد الجيوش ومتطلباتها المختلفة وقيامه بالغزو، وعنى بجلب واستخدام المماليك، وكان يسميهم الحرس، وقد بلغ عددهم في جيوشه خمسة الألف، وهو أول من جند الأجناد في الأندلس واستكثر من حواشي والحشم وربطت الخيل على بابه مستنفرة وجاهزة للانطلاق في أية لحظة(2).

* الثورات الداخلية في عهده:

1- ثورة عبد الله بن عبد الرحمن الداخل:

حيث بعد وفاة هشام الأوضاع الأول عبر من المغرب إلى الأندلس واستقر في سرقسطة التي لم تكن دوماً إلى جانب الحكومة المركزية، وتعاون مع بهلول بن مرزوق، الثائر على حكم الأمير الجديد، لكنه لم يلق التأييد الشعبي الذي كان يأمله، الأمر الذي دفعه بالخارج فتوجه إلى

---

(1) الطقوشي: محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط3، دار الثقافي (مدريد، 1997م)، ص181.

(2) الطقوشي: المرجع السابق، ص181، 182.

ملك الفرنجة لم يرغب في تقديم الدعم له(1)، وأضطر إلى التفاهم مع ابن أخيه الذي عفا عنه وعينه حاكماً على بلنسة*، في عام (188هـ/804م) (2).

2- ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل:

عبر سليمان بن عبد الرحمن، الطامع هو الآخر بعرش قرطبة، البحر من طنجة إلى الأندلس بعد وفاة هشام الأول مع جماعة من البربر ودعا الناس إلى بيعته، فالتف حوله عدد منهم، وزحف نحو قرطبة لقتال ابن أخيه، إلا أن الحكم خرج من العاصمة للتصدي له، وجرت بينهما عدة معارك أسفرت عن القبض عليه في ماردة على يد الزعيم البربري، إصبغ بن وانسوس، الذي أرسله إلى الحكم الأول، فأمر بقتله(3).

3- الثورة في طليلطة:

ثورة المولدون من أخطر الثورات التي كادت تطيح بالحكم الأول، وكان لسكانها من الدوافع ما يجعلهم يرفضون سيادة قرطبة، لعل أهمها(4):

- موقع المدينة الطبيعي على هضبة عالية مطلة على نهر تاجة، فغالباً ما تقف هذه حاجزاً بينها وبين قرطبة التي عانت من الولاء المخلص لها في هذه المدينة الطامحة دائماً إلى أداء دور يعيد إليها بعض أهميتها السابقة(5).

- بوصفها عاصمة دولة القوط البائدة ذات البريق السياسي.

---

(1) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن على بن محمد، تاريخ ابن الأثير، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية (الرياض، 2012م) 335/5، 336.

* لأنهُ حكم بلنسية لقب بالبلنسي، على الشطشاط، تاريخ الأندلس، ص129.

(2) ابن عذاري، أبو العباس أحمد محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مولان وليفي برفنسال (لندن، 1951) 81/2، 81.

(3) ابن عذاري، بيان المغرب، 70/2.

(4) الطقوشي، المرجع السابع، ص183.

(5) المرجع نفسه، ص183.

– طبيعة سكانها الذين لم يكونوا أغلبهم من العرب، بل كانوا من المولدين، أي من الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام بالإضافة إلى المستعربين وهم الأسبان الذين اندمجوا في المجتمع مع البقاء على دينهم[1].

وبعد مضي عام على تولي الحكم سدة الإمارة أي في عام (181هـ/797م) أعلن المولدون فيها الثورة على الحكم الأموي بزعامة عبيدة بن حميد، مستغلين النزعات الأسرية في العاصمة.

فكلف الحكم الأول حاكماً داهية وهو (عمروس بن يوسف*) وهو من المولدين وكان اختياره ذكياً لقمع هذه الثورة، فدس إلى عبيدة بن حميد من قتله[2]، رغم ذلك لم يعلنوا ولاءهم للأمير الأموي. فكان على الحكم الأول أن يعالج الموقف بطريقة ما، فعين عمروساً والياً على طليطلة وأمره بإخضاع سكانها واتفق معه على خطة ذكية تكفل تطويعهم[3].

دخل عمروس المدينة، وتقرب من السكان مظهراً كراهية شديدة لبني أمية خاصة وللعرب عامة، فوثق به الناس. ومنحوه كل الثقة وأسرارهم وأضحى في نظرهم من رجال الثورة من دون أن يشعروا بما يبيتهوا لهم[4].

وعلم منهم أن سبب تذمرهم وعدواتهم للحكم وجود جنده داخل المدينة وسيطرتهم على منازلهم، فأقترح عليهم أن يبني قلعة خارج المدينة تكون سكناً له ولجنده، وأخبر الحكم بذلك فوجه جيشاً بقيادة ابن عبد الرحمن. وحفاظاً على السرية وجهة إلى الثغر الأعلى ولما تجاوز طليطلة توقف الزحف وأعلن أنه تلق أمراً بانتهاء الأزمة وعليهم العودة، وما أن أقترب من المدينة

---

(1) الطقوشي، المرجع السابق، ص183.

* عمروس بن يوسف سالم طلبيده وهو من المولدين، على الشطشاط، تاريخ الأندلس، ص130.

(2) ابن القوطية، أبوبكر محمد عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنس الطاع (بيروت، 1958م) ص99، كذلك ابن الأثير، المصدر السابق، 320/5.

(3) النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في الفنون والأدب، عبد العزيز الأهواني، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، 1983م) 360/24.

(4) ابن القوطية، المصدر السابق، ص99، 100.

حتى أقنع عمروس زعماءها بان الواجب يقضي باستقبال ولي العهد داخل المدينة، فدخلها عبد الرحمن بجشيه(1).

وأقام (عمروس) مأدبة عشاء في القلعة ودعا إليها زعماء المدينة، وأذن لهم بدخول فرادة منعاً للزحام على أن يدخلوا من باب ويخرج من باب وأمر أن تحفر حفرة عميقة بين هاتين البابان، ووضع السيافين على جانبيها، وحينما يصل الزائر ويدخل من ممر ضيق يتلقاه السيافون يذربوا عنقه ويرموه في الحفرة استمرت هذه المجزرة عدة ساعات فوصل عددهم خمس آلاف وسميت تلك الحادثة بواقعة الحفرة(2) ويقدرهم ابن عذاري بسبعمائة(3) وعلى أي حال كانت ضربة قوية لأهل هذه المدينة قضت على زعمائهم فحسنت طاعتهم بعد ذلك.

ثورة الربضيين:

كانت سياسة الحكم تقضي بإبعاد الفقهاء عن التدخل في شئون الدولة وقصر عليهم على إقامة الشعائر الدينية، فغضبوا عليه وحرضوا عليه العامة فثاروا على الحكم، وقاد ثورة قرطبة الفقهاء، وعلى رأسهم يحي الليثي، وطالوت الفقية، فخرجوا عليه وخلعوه وباعوا أحد أفراد أسرته، وكانوا بالربض الغربي من قرطبة، فقاتلهم وأوقع بهم. ولذلك سمي (الحكم الربض*) وهدم دورهم ومساجدهم. وأجلاهم إلى فاس والإسكندرية حيث نزل جمع منهم، ثم ثاروا بها، فسار إليهم عبد الله بن طاهر وإلى مصر من قبل المأمون وهزمهم وأجلاهم إلى جزيرة إقريطش، فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الفرنجة(4).

---

(1) النويري، المصدر السابق، 366/23.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص100. كذلك ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/199-201.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، 71/2.

* الربض ضاحية من ضواحي قرطبة على ضفة النهر الأخرى مقابل قرطبة، الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص131.

(4) المقري: أحمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، 1949م) 169/1.

عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) (206-238هـ/ 821-852م):

هو عبد الرحمن بن الحكم الثاني ويكنى أبو المطرف وكذلك يسمى عبد الرحمن الأوسط لوقوعه بين عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر، اعتلا الإمارة لبيعة من أبيه وله ثلاثون سنة، وأمه أم ولد أسمها حلاوة(1).

وقد ولد بطليطلة في شهر شعبان سنة 176هـ، وعنى أبوه بتنشئته وتثقيفه فعلمه علوم الشريعة والفلسفة(2).

كان ذكياً يدرك كل شيء على حقيقته، لكنه كان كثيراً ما يتصنع عدم المعرفة ويغض عن أخطاء الآخرين، فزاد ذلك في معرفته بالناس فأحبوه، ولم يكن فيه غدر ولا قسوة، ولكنه كان فيه حزم وقدرة على اتخاذ القرار المناسب، وكثيراً ما كان يدع الأمور تجرى وهو يراقب دون أن يتخذ قراراً إلا بعد وقت(3).

يختلف هذا الأمير عن والده في كثير من الصفات، فهو أقل تمسكاً بنظرية الأحكام المطلق، وبالتالي فإن خلفيته الدينية كانت ظاهرة في مجلسه ورواده من الفقهاء ورجال الدين(4). كما أن لشخصيته الإدارية والسياسية انعكست ملامح على حياة الأندلس، وما تمتع به من إحساس مرهف وذوق اجتماعي رفيع ونشاط عمراني لافت حيث اختمرت بذور التحول الحضاري الأندلسي بخصائص جديدة تعد بداية الانتقال الحقيقي إلى وضع الدولة كمؤسسة إدارية وثقافية وعسكرية(5). من أهم أعماله:

1- جلب المياه إلى قرطبة من الجبال.

---

(1) الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة، 2008م) ص14.

(2) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل (بيروت، 2001م)، 193/2.

(3) مؤنس: حسين، معالم تاريخ الغرب والأندلس، ط2، جار الرشاد (القاهرة، 2015)، ص322.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، 80/2، 81.

(5) ابن سعيد الغرناطي على بن موسى بن محمد بن عبد الملك، المغرب في حلى المغرب، خليل منصور، دار الكتب العالمية، (بيروت، 1997م) 18/1.

2- أقام الجسور ونظم شوارع قرطبة.

3- أنشاء كثير من المساجد في مدن الأندلس وجعل إلى جانب كل مسجد مدرسة ومستشفى.

4- أصلح الطرق الرومانية القديمة.

5- شجع على العلوم والآدب والفلسفة، فظهر في أيامه نوابغ العلماء.

6- نقل كثير من التراث اليوناني والفارسي الذي استحوذ عليه العباسيون إلى قرطبة وذلك بفضل جهود عبد الرحمن الأوسط(1).

نظم الإمارة تنظيماً دقيقاً فشكل مجلساً للوزراء واختار له رئيس (حاجب) وكان هذا المجلس يتكون من تسعة وزراء وخصص لهم مكاناً يجتمعون فيه ولكل منهم مرتب شهري قدرهُ 300دينار، وفي هذا يقول عنه ابن الأبار (الأمير عبد الرحمن الأوسط) هو الذي استلمهم فخامة الملك وترتيب الخدمة بالأندلس وظهر في أيامه الوزراء(2).

كذلك أهتم بالأمن فنظم أمن المدن الأندلسية فجعل لكل مدينة مسؤول يسمى صاحب المدينة، وصاحب السوق، وقسم الشرطة إلى شرطة عليا وشرطة وسطى ولكل منها اختصاصاتها(3)، لعل أشهر ما يميز عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط هي علاقته الخارجية التي قادها أشهر وزير عنده وهو يحيي بن حكم الغزال(4).

نجح في تبادل العلاقات الودية مع إمبراطور بيزنطة ثيوفلس، وفي نفس الوقت الذي أخذ يعمل فيه على نقل الأندلس من مرحلة الركود والجمود إلى مرحلة الرقي والاستقرار: فاهتم بالبناء والتسيير وأقام المساجد في جميع أنجاء الأندلس.

وعرفت الأندلس لأول مرة فناً جديداً وهو فن الموسيقى والغناء. ذلك أنه استقدم الحسن ابن نافع المعروف (بزرياب) وكان موسيقياً مطرباً ومجدداً اجتماعياً، كما برزت في عهده

(1) حسن إبراهيم، المرجع السابق، 193/2، 194.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص89.

(3) ابن الأبار، عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف (القاهرة، 1985م) ، ص250.

(4) العبادي: أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، (بيروت، 1978م)، ص142.

شخصية علمية جديرة بالذكر هي شخصية عباس بن فرناس الكيميائي الفلكي، الذي اشتهر بتجربته العلمية في الكيمياء ومحاولته الطيران ويتميز عصره بإنشاء دور الصناعة في موانئ الأندلس ودعم الاسطول في الأندلس بعد معاناته من غارت النورمانديين على إشبيلية وأشبونه وتدمير هذه المدن[1].

ومن الاضطرابات التي واجهها عبد الرحمن الأوسط ثورة طوريل البربري بتاكرنا سنة 211هـ/826م فبعث إليه القائد عبد الرحمن بن معاوية فقتله سنة 214هـ/829م[2].

كما ثار عليه هشام الضراب* بطليطلة، فأرسل إليه الأمير عامله على الثغر محمد بن رستم لمحاربته، ولكنه فشل، فاستفحل أمير الضراب وفي سنة 214هـ حدثت معركة بين محمد بن رستم وبين الضراب انتهت بهزيمة الضراب وقتله واستمرت طليطلة في الخروج عن طاعة الأمير وأرسل إليها جيشاً حاصرها وفتحها في سنة 222هـ[3]، وفي سنة 236هـ/850م ثار أحد البربر واسمه حبيب البرنسي بجبال الجزيرة الخضراء والتف حوله جمع من أهل الفساد، فأخرج إليه الأمير الأجناد ففرقوا جمعه وقتلوه[4].

- الثورات الداخلية في عهد عبد الرحمن الأوسط:

نقوم بدراسة الأوضاع الداخلية وخاصة الثورات للأسباب التالية:

1- تحديد إطار سياسة الأمراء الداخلية.

2- انشغال القائمين على الحكم وعدم الاهتمام بالشؤون الخارجية.

---

(1) السيد: عبد العزيز سالم، دائرة معارف الشعب، الأندلس، مطابع الشعب (د.م، 1959م) ص8.

(2) السويدان، طارق، الأندلس التاريخ، المصور، ط2، الابداع الفكري (الكويت، 2006م) ص133.

* سمي بالضراب لأنه كان أحد الرهائن الذين أخذهم معه الحكم من طليطلة إلى قرطبة فصار يعمل اجيراً في حارة الجدادين يضرب بالمعول عرف بالضراب ثم عاد إلى طليطلة، طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص206، 207.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، 83/2.

(4) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص297.

3- قام الحكام على الإحجام عن الرد على الهجمات التي يشنها النصارى على الثغور الإسلامية.

4- لا تسمح للحكام بالتقاط الأنفاس لكي ينظموا شؤون دولتهم.

واجه عبد الرحمن العدد من الثورات كغيره لكن بشكل اقل:

أ- ثورة عبد الله البلنسي:

في أوائل عهد عبد الرحمن الأوسط خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسي حيث لم ييأس بعد في الظفر بالإمارة فتجمع حوله عدد من الناس المؤيدين له وخرج قاصداً قرطبة، فتجهز عبد الرحمن لملاقاته ولكن عبد الله أحس بعدم قدرته وأنه سيفشل كما فشل من قبل فعاد إلى بلنسية، حيث مرض ومات سنة 208هـ فقام عبد الرحمن الذي أراحه القدر من هذا الخصم بنقل أولاده وأهله إلى قرطبة ليكونوا تحت نظره(1).

ب- بدء فتنة تدمير المضرية واليمنية:

كان سببها خلاف شخصي بين اثنين أحداهما يمني والأخر قيسي حيث أقدم القيسي على قطف ورقة كرمه من أحد البساتين اليمني، فقام اليمني بقتله فثارة حرب بين الطرفين(2).

ما أن علم عبد الرحمن الأوسط بنشوب الصراع بين العرب في تدمير حتى بذل جهده لإطفائها، فأرسل قائده يحي عبد الله على رأس جيش لتهدئة الوضع وعين حاكماً للمنطقة(3).

اعتبرت القبائل المتصارعة ذلك تدخل في شؤونها، فقاتلت الجيش الأموي في معركة عرفت باسم معركة (المسارة) ولم تؤد إلى نتيجة حاسمة، وعاد الجيش إلى قرطبة(4).

وبعد عامين أرسل عبد الرحمن جيش أخر بسبب استمرار الصراع فاشتبك مع اليمنية بقيادة أبي الشماخ فقضي على عدد كبير منهم ولم يكتف الأمير الأموي بذلك بل هدم حاضرة

---

(1) ابن سعيد، المصدر السابق، 19/1.
(2) ابن سعيد، المصدر السابق، 19/1، 20.
(3) ابن عذاري، المصدر السابق، 81/2.
(4) المصدر نفسه، ص82.

تدمير التي انبعثت منها الفتنة سنة (210هـ/825م) وأمر ببناء مدينة مرسية فتم نباؤها سنة 216هـ.

- **الحروب الخارجية:**

تجلت همة عبد الرحمن ألأوسط في ذوده عن حدود دولته فكان يقود الغزوات بنفسه ويرد على الغزاة.

ففي سنة 208هـ/823م سير الأمير عبد الرحمن جيشاً لغزو ألية والقلاع بقيادة عبد الكريم بن مغيث حيث تمكن من التوغل فيهما وحاصر عدة حصون وفتح بعضها وصالح على الجزية وإطلاق أسرى المسلمين، وقد غنم أموالاً كثيرة وأظهر هيبة المسلمين كما غزا الأمير بنفسه هذه المنطقة ففتح حصونها وغنم غنائم كثيرة وطال مقامه في هذه الغزوة ثم عاد إلى قرطبة وفي العام التالي أرسل ابنه مطرفاً بجيش فتوغل في بلاد جليقية وبسط هيبة المسلمين[1].

- **غزوات النورمان:**

أغارت سفن النورمان الجنوب وبتحديد قادش وأوغلت قواتهم داخل البلاد حتى وصلت شذونة ونهبت كل ما في طريقها، ثم سارو بمحاذاة الساحل حتى مصب الوادي الكبير فاستولوا على جزيرة قبطيل[2]، ثم دخلت السفن النهر وصعدت حتى بلغت إشبيلية ونهبها النورمان وأحرقوا ديارها ومسجدها، فعندما علم عبد الرحمن ذلك نهض وواجه النورمان بقوة وتولى حربهم اثنين من قواده عبد الله بن كليب وعبد الرحمن بن رستم فهزموا النورمان عند طليطلة شمال إشبيلية[3].

---

(1) الشطشاط: على حسين، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار القبا الحديثة (بنغازي، 2009)، ص140.

(2) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، محمود على مكي (القاهرة، 2010م) ص308.

(3) العذري، أبو العباس أحمد بن عمر الدلائي، نصوص عن الأندلس، عبد العزيز الأهواني (مدريد، 1965م) ص28.

وقد أغارت سفن النورمان على الأندلس بعد ذلك مراراً، ولكنها كانت ترد على أعقابها بخسائر فادحة في كل مرة.

- نشأة الأسطول:

كان من نتيجة الغزو النورماني أنه نبه عبد الرحمن إلى أهمية الأسطول فبدأ في إنشائه إنشاء محكماً واتخذ له دور الصناعة والقواعد في الأشبونة وإشبيلية وولبة والمرية وبلنسية ومالقة[1]، لم تمضي سنوات حتى كان للأندلس أسطولان قويان أحدهما في المحيط الأطلسي ومركزه لشبونة، والثاني في البحر المتوسط وقاعدته مالقة، ومن منتصف القرن التاسع ميلادي تظهر الأندلس كقوة بحرية كبرى، وتبدأ أهمية البحرية الأندلسية كعماد لقوة إمارة قرطبة[2].

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص324، 325.

(2) الهاشمي، عبد المنعم، الخلافة الأندلسية، دار ابن حزم (بيروت، 2007م)، ص309.

المبحث الثاني

في الدولة البيزنطية

سأتحدث في هذا المبحث عن الأسرة العمورية وأهم المشاكل التي واجهتها وحروبها التي خاضتها والتي دفعتها إلى التقارب مع الأمويين في الأندلس في عهد الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري الذي حكم من سنة (820–829) والإمبراطور تيوفيلوس (829–842).

حكمت هذه الأسرة الجديدة قرابة نصف قرن من الزمان، لم تستطع فيه أن تمنح الإمبراطورية ما كانت في حاجة إليه من القوة والمنعة وما كانت تأمل فيه من رخاء وازدهار بل تذبذب أباطرتها في سياستهم الدينية بين مناهضة لعبادة الصور وبين مؤيديها، في الوقت الذي غضت فيه الطرف عما كان يجري في الجبهة الإسلامية من نشاط أدى إلى فقدان أراضي جديدة وجزر في البحر المتوسط دانت لها فترة غير قصيرة[1]،.

واندلعت الفتن الداخلية في وسط الإمبراطورية البيزنطية ونشبت الحروب الأهلية، ولم يكن ثمة ما يحول بين هذه الدولة وبين استمرار انحدارها[2].

ويأتي هذا الإمبراطور على رأس هذه الأسرة، والذي ينتمي إلى أسرة متواضعة بعمورية التي تعتبر حاضرة ثغر الأناضول وإقليم فريجيا بأسيا الصغرى ولهذا عرفت بالأسرة العمورية وكان أمياً، فضلاً عن جفاء في الطبع وقسوة متناهية أرهب بها خصومة وجعلته يشق طريقه في الجيش بثبات[3].

وفي عصره توقف اضطهاد عبادة الصور والايقونات، وخمدت الفتن الدينية، وعاد المنفيون من أنصار هذه العبادة وأظهر الإمبراطور سياسة متوازنة بين الاتجاهين، فلم يعترف بقرارات مجمع نيقية الأيقوني، ومنع المناقشات حول موضوع الايقونات ربما لمحاولة تهدئة الأمور داخل الدولة، وفتح صفحة جديدة بين الرعايا.

---

(1) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، الولاة والقضاء، روفن جست (بيروت، 1908م) ص180.

(2) فازيلييف، العرب والروم، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيره، (5م، د ت) ص48.

(3) الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية، 1994م)، ص159، 160.

غير أن ذلك لم يحقق الهدوء الذي رمى إليه الإمبراطور، إذ سرعان ما اندلعت ثورة توماس الصقلي* التي استمرت ثلاث سنوات وأخذت جهداً كبيراً[1].

حصل توماس على تأييد الخليفة العباسي المأمون مقابل عقد معاهدة تقضي بتحالف ضد ميخائل لطرده من الحكم مقابل التنازل بعد اعتلاء توماس العرش عن بعض مواضع على الحدود للخليفة المأمون، وطبقاً لهذا، جرى تتويجه إمبراطوراً في انطاكية برضى الخليفة العباسي، ولكن عندما حاصر توماس القسطنطينية في ديسمبر 821م وهو الحصار الذي استمر أكثر من عام فشل في الثورة، وانتهى الأمر بفراره ثم ألقي القبض عليه وسلم للإمبراطور الذي نكل به حتى الموت[2].

ولقد لقيت بيزنطة انتكاسات في سياستها الخارجية في عهد ميخائل الثاني ولا سيما من قبل المسلمين فقد فقدت جزيرة كريت سنة 827م التي استولى عليها الاندلسيون[3] دون مقاومة تذكر من قبل سكانها نظراً لما كان يكنه هؤلاء السكان من الكراهية للبيزنطيين بسبب سوء سيرة عملهم.

وبين زعيم الأندلسيين الذين غزوا الجزيرة أبو حفص عمر بن شعيب حاضره ملكة في الجزيرة على الشاطئ الشمالي للجزيرة وأحاطها بخندق عميق فاتخذت المدينة اسمها المعروف (الخندق) Chandax أو كنديا Candial[4]. ولم تفلح محاولات ميخائيل الثاني لاسترداد الجزيرة من المسلمين، فقد لقيت جيوشه وأساطيله الهزيمة اكثر من مرة وظل المسلمون يحكمون الجزيرة فترة طويلة زادت على القرن والربع من الزمان حتى استردها نقفور فوقاس سنة 961م [5].

كما ظفر المسلمون بجزيرة صقلية الأكثر أهمية بالنسبة لبيزنطية لدورها في البحر المتوسط، فقد انتهز الأغالبة حكام إفريقية فرصة ما حدث بهذه الجزيرة من فتن، وأرسل زيادة الله

---

* توماس الصقلي من زملاء الإمبراطور القدامي ومن رفاق السلاح، ولكنه قرر الثورة ضده وأعلن أنه زعيم عبادة الصور المقدسة؛ وألبس ثورته رداء الإصلاح الاجتماعي، فنادى بأنه نصير الفقراء وحامي الضعفاء، فانضم إليه العامة، وكل من تأثر بسوء الأحوال الاقتصادية، نور الدينالي، الدولة البيزنطية، ص137.

(1) الشيخ، مرسي، المرجع السابق، ص160.

(2) فازيليف، المرجع السابق، ص48.

(3) اسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعارف (الإسكندرية، د.ت) ص91.

(4) فازيليف، المرجع السابق، ص55.

(5) العدوي، إبراهيم أحمد، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ط2 (د.م، 1958م) ص108.

بن الأغلب أسطولاً قوياً تألف من نحو مائة سفينة تحمل نحو عشرة آلاف رجل وسبعمائة فارس على رأسه القاضي أسد بن الفرات[1]. في يونيو سنة 827م واحتلت هذه القوة الجزيرة بيسر وحاصروا عاصمتها سيراكوز (سرقوسة) ووصلت للمسلمين إمدادات من أفريقية وكريت والأندلس وخضعت الجزيرة بالكامل للمسلمين[2].

أصبحت هذه الجزيرة قاعدة بحرية تنطلق منها أساطيل المسلمين لمهاجمة سواحل إيطاليا وقطعت طرق تجارتها وانهارت بذلك سيطرة بيزنطة على البحر المتوسط[3].

- ثيوفيلوس (829-842م):

اعتلى العرش بعد وفاة والده الإمبراطور ميخائيل الثاني بوصاية منه واشتهر بعلو ثقافته وشغفه بالعلم والفنون[4] وتأثره بالثقافة الإسلامية وفي عهده أخذت عبادة الصور والايقونات تتلاشى وتنتهي وسبب تأثرها بالثقافة الإسلامية وأعجب بما زخر به البلاط العباسي مثل الحرص على نشر العدل مقلداً في ذلك هارون الرشيد فكان يطوف في أنحاء العاصمة ليقف على أحوال الناس ويتحدث إلى الفقراء والمساكين ويسمع شكاوى المظلومين ويأخذ لهم حقوقهم[5].

كما عرف عنه حبه للحرب حيث قضى معظم وقته في الحروب خاصة مع المسلمين ربما ضناً منه أنهم بعد الرشيد قد ضعفوا ولذلك اهتم بثغور واسترد املاك البيزنطيين من أيدي المسلمين.

استفاد ثيوفليوس من انشغال الخليفة العباسي المأمون بإخماد ثورة الخرمية في المشرق وإخماد الثورة في مصر حيث أهتم المأمون بالثورة التي قام بها بابك الخرمي فأتصل ثيوفيلوس ببابك الخرمي ونزحت أعداد كبيرة من الخرميين إلى الأراضي البيزنطية ودخلوا في خدمة الإمبراطور[6] وفي ربيع سنة 830م قام ثيوفيلوس مستعيناً بالخرميين بعبور الجبال وهاجم بعض بعض النقاط الحدودية وقتل أعداداً كبيرة لاستثارة العباسيين وعند ذلك بادر الخليفة العباسي

(1) فازيليق، المرجع السابق، ص72.

(2) العدوي، المرجع السابق، ص109.

(3) الشيخ، مرسي، المرجع السابق، ص63.

(4) العدوي، المرجع السابق، ص109.

(5) الشيخ، مرسي محمد، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية (مجلة كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، 1979م) العدد الثالث، ص141.

(6) الطبري، المصدر السابق، ج10 ص280.

بالهجوم وعبر الحدود البيزنطية وفتح الكثير من الحصون وتعرض ثيوفيلوس لهزيمة ساحقة ولم ينجوا بحياته ألا بصعوبة[1].

ولكن ثيوفيلوس ما لبث أن استعاد توازنه وعاد في العام التالي 831م فهاجم طرسوس والمصيصة وقتل عدد كبير واستولى على بعض الحصون وطلب من الخليفة عقد صلح لمدة خمس سنوات مقابل إطلاق الأسرى فرفض الخليفة عرضه هذا وخرج إلى أرض الروم فاستولى على هرقلة بغير قتال ووجه أخاه إسحاق ففتح ثلاثين حصناً وجرت معركة كبيرة بين القوتين بقيادة الإمبراطور والخليفة أحرز فيها العباسيون نصراً عظيماً وفي العام التالي بعد القضاء على ثورة المصريين حيث دارت بعض المواجهات وانتصر العباسيون نصراً نهائياً وعرض الإمبراطور الصلح ولكن الخليفة لم يكن يثق فيه[2].

ولكن المأمون عند عودته حلت به حمى شديدة أدت إلى وفاته في أغسطس سنة 832م[3].

آلت الخلافة بعد وفاة المأمون إلى اخيه المعتصم الذي اشتهر بالبسالة والشجاعة والفروسية، كما عرف عنه حبه للأتراك واستكثاره منهم في السنوات الأولى في تثبيت حكمه وفي المقابل كان الإمبراطور منشغل بمحاولة استعادة صقلية من المسلمين فلم تمضي أربع سنوات حتى استأنف ثيوفيلوس القتال ضد المسلمين[4] ولما قاربت ثورة الخرمي على الفشل عرض على على الإمبراطور أعتناق المسيحية هو وأصحابه إذا نجحت الإمبراطورية في إنقاذ الموقف ولهذا السبب خرج الإمبراطور من عاصمته نحو أطراف العراق في سبعين ألف جندي ولهذا حاول فتح الطريق بينه وبين بابك للخرمي فاستولى على حصن زبطره وحدثت فيه مذابح فقتل الذكور ونكلوا بهم من سمل الأعين وجذع الانوف والأذان وسبى النساء والأطفال من أهل زبطرة[5].

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص219-220.

(2) الطبري، المصدر السابق، ج10 ص281.

(3) المسعودي، أوب الحسن على بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس (بيروت، 1978م) 456/3.

(4) الطبري، المصدر السابق، 283/10، 284.

(5) فازيليف، المرجع السابق، ص1.

ما إن سمع الخليفة المعتصم بهذه الأنباء حتى أقسم أن يثأر لأهل زبطرة وأن يذل الإمبراطور البيزنطي، فأمر بعمامة الغزاة ونادي (بالنفير) [1] ويقال أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم وامعتصماه فأجابها وهو جالس على عرشه لبيك لبيك ونهض من ساعته عازماً على مهاجمة عمورية مسقط رأس الإمبراطور وإزالتها من الوجود وبعد ذلك يتوجه للقسطنطينية وأعد جيوشه لهذا في أبريل سنة 838م وكتب على ألوية جيشه (عمورية) على الخليفة يشفي غله بلغ عدد الجيش مائة ألف محارب وقسم الجيش إلى ثلاثة ألوية واتفق قادة الالوية الثلاث على الالتقاء عند سهل أنقرة قبل الزحف على عمورية أدرك الإمبراطور ثيوفيلوس أن هدف المعتصم هو أنقرة وعمورية فذهب إلى عمورية وقام بزيادة تحصيناتها وتقوية حامتها، وأشرف بنفسه على ذلك وجمع فيها كميات كبيرة من المؤن والزاد والعتاد استعداداً لحصار قد يطول[2]، وخطط لملقاة الجيوش الإسلامية قبل الوصول إلى المدينة دون أن يدرك أن ثمت جيش أخر أتخذ طريق مباشر إلى أنقرة بقيادة الإفشين، وعندما علم الإمبراطور بوجود جيش ثالث متقدم نحو أنقرة اضطربت خطط الإمبراطور واتجه لملاقات الإفشين واصطدم عند دازيمون حيث جرت معركة هامة في 22يوليو سنة 232/838هـ وهزم الإمبراطور وهرب في حالة سيئة واشيع أنه قتل وتقدمت الجيوش إلى المدينة وأنزلوا في أنقرة خراباً ودماراً انتقاماً لمسلمين زبطرة فأرسل الإمبراطور إلى الخليفة في ذلة يطلب الصفح وعقد صلح وإعادة بناء زبطرة وإعادة من بقى من سكانها وأطلاق سراح الأسرى المسلمين إلا أن المعتصم لم يستجب لتوسلات الإمبراطور[3].

واتجه الخليفة بجيوشه الثلاث إلى عمورية وعاثوا فيها خراباً ووقع في أيد المسلمين عدد كبير من الغنائم والأسرى والسبايا حتى يشفى الخليفة غله وبعد توسلات من الإمبراطور وافق المعتصم على عقد صلح سنة 841م[4] وقد فكر المعتصم في غزو القسطنطينية لولا اضطراره للعودة إلى بلاده بسبب ما ورده من محاولة عزله عن الخلافة وقد ادرك الإمبراطور أن الخليفة

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي (ليدن، 1883) ج2، ص475.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، 247/2.

(3) فازيليف، المرجع السابق، ص137.

(4) الطبري، المصدر السابق، 338/10.

قد يعاود الكرة مرة أخرى حين تسنح له الظروف[1]. على أثر الهزائم المتتالية على البيزنطيين في الشرق والغرب من الأغالبة في صقلية والأندلسيين في كريت.

اتجه الإمبراطور إلى سياسة جديدة وهي التحالف مع الغرب الأوروبي فبعث بسفاره إلى ملك الفرنجة إلا أنها باءت بالفشل وبعث بأخرى إلى البندقية وفشل فيها أيضاً[2]. فاتجه إلى المسلمين في الأندلس مستغلاً الخلافات السياسية بين الأمويين في الأندلس والعباسيين فتصل بالأمير عبد الرحمن الأوسط[3] وهذا ما سنقوم بدراسته بتفصيل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(1) أبن الأثير، المصدر السابق، 250/5.

(2) المسعودي، المصدر السابق، 473/3.

(3) المقري، المصدر السابق، 334/1، كذلك ابن الأثير، المصدر السابق، 417/6، أحداث سنة (215هـ).

الفصل الثاني
السفارات

المبحث الأول: السفير والسفارة

1) مفهوم السفير والسفارة.

2) شروط السفير واختياره.

3) مراسم الاستقبال والتوديع والأمان.

4) الهدايا والرسائل.

المبحث الثاني: أنواع وأهداف السفارات

1) سفارات سياسية.

2) سفارات اقتصادية.

3) سفارات اجتماعية.

4) سفارات علمية وثقافية.

5) سفارات عمرانية فنية.

المبحث الأول

السفير والسفارة

مفهوم السفير والسفارة :

السفر: هو قطع المسافة والجمع أسفار (السفير) هو الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء فشتقة السفارة من السفر والسفير فأصبح تعريف السفارة: هو قطع المسافة للإصلاح بين القوم وتحمل كتاباً وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [1]، وسفره جمع سفارة[2].

ويقول ابن منظور في لسان العرب في تعريف السفارة هي المعنى المشترك بين السفير والرسول وهو نقل الرسائل والأخبار[3].

كما عرف العرب السفارة قبل الإسلام وعندما جاء الإسلام أول من أرسل السفارة هو الرسول -ﷺ- عندما بعث سفراء إلى ملوك البلدان المجاورة مثل كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة ليدعوهم للإسلام[4].

- شروط السفير واختياره:

يمثل السفير للدولة التي يمثلها الشكل الخارجي لهذه الدولة، ولابد لهذا الشكل أن يكون لائق من جهتين الشكل الخارجي حيث يكون جميلاً جذاباً يصر الناظرين ومن جهة أخرى يكون سياسي محنك ذو ثقافة واسعة وسعت صدر، وهذا يتطلب منا دراسة شروط التي يجب مراعاتها عند اختيار السفير.

---

(1) سورة عبس، الآية 15.

(2) الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، دار الكتب المصرية (دم، د ت) ص300، 301.

(3) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب (بيروت، د ت) 155/2.

(4) ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البخاري، دار نهضة مصر (القاهرة، 1383هـ) 109/6، 111.

أ- الشروط الجسدية:

أن مظهر السفير هو أول ما تقع عليه أنظار الناس ويحكمون عليه لذلك كان المسلمون يتحرون في اختيار رسلهم جمال المظهر ووسامة الوجه وسيط القامة مرتب الهيئة.

ويشترط في السفير أن يكون جيد اللسان فصيح البيان بليغ العبارة ويفهم بإشارة فلم يختر المسلمون سفيراً بع الصود أوردي النطق أو ضعيف الرأي أو متردا أو متهوراً وأن يكون حريصاً على النجاح (وليكن من أهل الشرف والبيوتات) [1].

ولذى اشترط المسلمون في سفرائهم جمال الصورة وترتيب الشكل والنسب ورجاحة العقل وأغلب السفراء المسلمين انطبقت عليهم تلك الصفات فمثلاً السفير الأموي الذي سنقوم بدراسته بتفصلي يحي الغزال وما عرف عنه أنه آية في الجمال واسع الصدر سديد الرأي شاعراً أديباً[2] يزداد رونقاً بتوفر الشروط السياسية والثقافية.

ب- الشروط السياسية والثقافية:

من أهم الشروط التي يجب توفرها في السفير هي الحنكة السياسية والثقافية الواسعة، فلحنكة السياسية ومستواه الثقافي تجعله يتصرف بدرجة من الاحتراف وذكاء والدهاء حسب المواقف التي يتعرض لها دون أن يحيد عن مبادئ دولته ومواقفها، فيجمع بين سياسية اللين والشدة.

وقوة الشخصية صفة مهمة في السفير حتى لا يتأثر بالمواقف التي تواجهه وأن يكون بعيداً عن التسرع والاندفاع وقريب من التريث والتثبت[3].

لابد للسفير أن يتحلى بالأمانة والحلم والصبر فالأمانة ضرورة في كل وظيفة وخاصتاً السفير الذي هو ممثل لدولته فيجب أن ينقل موقفه إلى الحكومة الموفد إليها بصدق دونما مبالغة أو نقص مخل فهو مؤتمن في أداء مهمته بكل إخلاص لمن بعثه.

---

(1) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير، ط4، (القاهرة، د ت) 15/1.
(2) الطبري، المصدر السابق، 220/9.
(3) الرحيلي: سليمان، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، مكتبة التوبة (الرياض، 1992م) ص32، 33.

أما الحلم والصبر فهما بلا شك من صفات رجل السياسة الناجح، إذ يحتاج السفير إلى الحلم في مداولاته ومفاوضاته إذ يتعرض للاستفزاز ما لم يكن حليماً لبقاً، ويفضل في السفير معرفة لغة الدولة الذاهب إليها وهذا أفضل فإن لم يتيسر له ذلك كانوا يبعثون معه من يترجم له ويكون ثقة[1].

كما يجب أن يكون قوي البنيان صغيراً في السن أي غير هرم، وذلك بسبب طول المسافة التي يقطعها الرسل بين العواصم الإسلامية والعاصمة البيزنطية كما يتصف المبعوث بالحلم وكظم الغيظ مما يحتاج إليه من الصبر على طول المكث والمقام وأن يكون فصيح اللسان قوي الشخصية كما يجب أن يكون السفير مقرباً من الطبقة الحاكمة لكي يكون ملماً بشؤون وخبايا الحكم مطلع على مشاكل الدولة لأنه سوف يتحدث باسمها[2].

وكان لبعض هؤلاء السفراء البيزنطيين خبرات كبيرة نتيجة لتكرار رحلتهم الأمر الذي يسهل عليهم إنجاز المهمة ومن أشهر هؤلاء السفير البيزنطي يوحنا سينكلوس؛ الذي كان مبعوث الإمبراطور ثيوفيل إلى بغداد سنة 216هـ/831م حيث كان يتمتع بخبرة كبيرة مكنته من كسب تعاطف المسلمين معه منذ أن دخل الحدود الإسلامية[3].

ويجب أن تكون أجوبته واضحة لا تحتمل أشياء غير التي يقصدها وأن يتمتع بالصدق وألا يكون جشعاً أو هلوع، وأن يكون كتوماً لما يحمل من مهام، وعلى الخليفة والإمبراطور أن يعرف ما إذا كانت هذه الصفات الحميدة موجودة في هذا السفير أو لا، فكان يتوجب على الملك أن يقوم باختبار الشخص الذي توسم فيه أن يصبح سفيراً[4].

لم يمتلك العرب المسلمون ولا البيزنطيين رجالاً دبلوماسيين يمتهنون الدبلوماسية كمهنة لهم. وإن كانت عملية اختيار الرسل والسفراء خضعت لعدة اختبارات قبل أن يتم إرسال المبعوث

---

(1) الزحيلي، المرجع السابق، ص33، 34.

(2) البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، تحقيق: عبد العزيز توفيق، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1997م) 105/1.

(3) ستيفن، رنسيمان: الحضارة البيزنطية، عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 (القاهرة، 1997م) ص185، 187.

(4) الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب، كتاب التاج في أخلاق الملوك، أحمد زكي باشا (القاهرة، 1914م) ص115.

للخارج في مهمة رسمية فإن اجتازها يعطي الثقة ويتم إعدادُ لذلك[1]، ويبد أن هناك طبقة من الموظفين كان يختار بعضهم لكي يصبحوا رسلاً ومبعوثين سياسيين إلى الخارج وكانت منحصرة في كبار المسئولين وخاصة كبار القادة والرهبان وفي الدولة البيزنطية يتم اختيارهم عن طريق إدارة خاصة للشؤون الخارجية من يرأسها هو من يختار الأفراد الذين سيشاركون في البعثة للخارج بالإضافة إلى عمل الترتيبات اللازمة لاستقبال السفراء الأجانب[2].

– مراسم الاستقبال والتوديع والأمان:

إن عملية استقبال الرسل تبدأ بمجرد وصول الرسول إلى حدود الدولة الموفد إليها[3]، وبمجرد أن يتحقق حراس الحدود من الجانب الإسلامي أن هذا سفيراً من قبل الدول البيزنطية فعلى قائد الحدود أن يسارع بإبلاغ الحاكم المسلم الذي تتجه إليه السفارة وباسم هذا السفير وأنه قام من قبل الدولة البيزنطية واسم الإمبراطور الذي أرسله. وأن يبلغ بتعريف قائد حرس الحدود عدد البعثة المرافقة معه ويبلغ السلطان بذلك وأي طريق سلكته هذه البعثة قبل أن تصل إلى الحدود وأي طريق ستسلكه بعد دخولها للحدود، وأن يعين من يحرسهم في رحلتهم ويقدموا لتلك السفارة كل الاحتياجات التي يحتاجون إليها في طريقهم ويعملوا على إزالة العوائق التي تعترضهم[4].

عندما يبلغ الحاكم بمسألة وصول السفارة إليه، فإنه يبدأ بالاستعداد من أجل أن يستقبل هذه البعثة أفضل استقبال ويؤجل الرسول حتى يتم الاستعداد لاستقباله. وقد يكون هذا الانتظار خشية معرفة أسرار حربية وخصوصاً أثناء المعارك[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص120.

(2) ابن الفراء: أبو على الحسين بن محمد، كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة وسفارة، صلاح الدين منجد، ط3، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1993م) ص67-68-69.

(3) الأبيض: أنس، بحوث في تاريخ الحضارة، مطبعة دار الكتب (القاهرة، 1971م) ص183.

(4) محبوبة، عبد الهادي محمد رضا: نظام الملك الحسن بن على الطوسي الوزراء في الأمة الإسلامية، دراسة تاريخية في سيرته وأهم أعماله خلال استيزاده، الدار المصرية اللبنانية (د.م، 1981م) ص433.

(5) الطبري: المصدر السابق، 69/9.

بعد وصول السفير يتم تخصيص مكان من أجل أن يقيم فيه أثناء مدة إقامته إلى ان يبعث إليه الملك المرسل إليه للمثول أمامه، ولعل من أهم الأعمال التي كانت تحدث للسفير هي قيامه بجوله في عاصمة تلك المكان الذي يقصده لكي يطلع على معالم المدينة ومدى فخامتها وحضارتها التي وصلت إليها[1].

وقبل أن يدخل على الحاكم يتم اصطفاف العساكر وهم يحملون الاسلحة التامة ويجب أن يكونوا في أعداد كبيرة ليلقوا الرهبة في قلب السفير وهؤلاء الجنود المصطفون من مختلف التشكيلات التي يتكون منها الجيش ما بين مشاة وفارسان بالإضافة إلى كثير من الخدم وعبيد القصر وبعض خواص الشعب، ثم يقف بعد ذلك بين يدي الحاكم من أجل أن يخبره بما يريد ومعه ترجمان لكي يترجم له[2].

ومن الأشياء التي كانت تتواجد في حفلات الاستقبال سيوف مرصعة بالجواهر الكريمة، وذلك تعبيراً على عظمة الحكومة المستقبلة ومدى نظامها وقوتها لدى سفراء أعدائهم[3].

هذا بالإضافة إلى تزيين قصور الخلافة والدهاليز بأحسن الفرش وبعد الانتهاء من تزيين القصور، يتم إعلام السفير بأن عليه الحضور ليقابل الخليفة، والذي يكون بدوره في أحسن المظاهر من زينه لهذا الأمر وأنه يكون محاطاً بكبار رجال الدولة وهو جالس على سرير من أجل استقبال السفير الموفد إليه[4].

وهذا الاستقبال مرده إلى الأمان الذي منحه الإسلام للسفراء، وأن هذا الاستقبال الجيد لهؤلاء الرسل كان من أعظم مبادئ الإسلام التي عملت على ضمان سلامة الرسل والمبعوثين

---

(1) الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف (الدكن، 1962م) ص175-176.

(2) على: أحمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، دار دمشق (دمشق، 1994م) ص304، 305.

(3) أحمد إسماعيل: المرجع السابق، ص305.

(4) الاتابكي، جمال بن يوسف بن ثغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، 1932م) ص192.

في الأراضي الإسلامية[1] حيث أن مبدأ الأمان كان يحتوي بالإضافة للرسل التجار والمستجيرين بالحاكم المسلم وهذا وفق تفسير الإمام ابن القيم لهذا الأمان[2].

لكي يبدأ الاستقبال الجيد للبعثات الدبلوماسية على المبعوثين أن يكرروا اسمهم واسم الملك المرسل منه، وأن يذكر ما معه من هدايا ودواب ومتاع ورقيق وغيرها من الأشياء المرسلة هدية إلى الخليفة ويجب على من ابلغه من الولاة أن يصدقه وقت دخوله الأراضي الخاصة بهم كاحتياط أمني وعلى المسلمين مثلاً توفير وسائل الراحة ويجهزوا أماكن تليق بهم ليقيموا فيها طوال مدة إقامتهم في الأراضي الإسلامية[3].

كان عليهم أن يتولوا الانفاق على البعثة الدبلوماسية أثناء فترة تواجدها في أراضيهم والعمل على توفير المأكل والملبس وغيرها من الأغراض اليومية التي يحتاج إليها ويعطوهم الكثير من الهدايا[4].

مثل ما فعله معاوية بن سفيان مع ثيودور حينما قدم عليه عام 654م في دمشق فأغدق عليه الهدايا الذهبية والفضية رداً على هداياه[5].

يخصص مكاناً لاستقبال البعثات الدبلوماسية، وهو أشبه بدار الضيافة وفي بعض الأحيان فإن الرسل والسفراء الوافدين يعطون بعض البيوت الخاصة ليقيموا فيها طوال مدة بعثتهم[6].

وكانت الفخامة في الاستقبال قد جاءت بعد المراحل الأولى للدولة الإسلامية أي ظهرت ملامحة بعد القرن الثاني الهجري حيث استقبل الرسل في صدر الدولة الإسلامية وخصوصاً أثناء المعارك التي كانت غالباً لا تتعدى حدود المكان الذي كانت تدور فيه الحرب بين الجانب

---

(1) نجم: أحمد جميل، أحكام الرسل، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1985م) 15، 16.

(2) شهاب، بشر سلطان: حقوق السفراء والرسل ودورهم في حل النزاعات الودية، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، المعجم 21، العدد 2 لسنة 2014م، ص55.

(3) أبي يوسف: يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، دار الثقافة الإسلامية (بيروت، د.ت) ص188.

(4) زيدان، جرجي: تاريخ التمدين الإسلامي، مطبعة الهلال (نوباز، 1921م) 15/2.

(5) البغدادي: المصدر السابق، 105/1.

(6) القرطبي، عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري، مطبعة بريل (ليدن، 1897م) ص64.

الإسلامي والبيزنطي، فيتوجه الرسول البيزنطي المواقع التي يتواجد بها الجند المسلمون وينادي بأعلى صوت على قائد الجيش الإسلامي بعد ان يعرف نفسه واسم من أرسله ثم يحدث الاستقبال الجيد ويدخل إلى الخيمة التي أعدت للقائد الإسلامي ويعرض مطالبة ثم يعود إلى قومه دون أن يتعرض إليه أحد(1).

على الرغم من أن الدولة البيزنطية تقع ضمن ما يسمى بدول الحرب إلا أن عقد الأمان هذا ينطبق على سفرائهم إلى العالم الإسلامي وهذا عملاً بقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(2) ويمنح هذا الأمان عادةً الإمام وهو الخليفة المسلم أو من يعاونه في ذلك، ولقد أشرف الحكام المسلمون على سلامة الرسل وتأمينهم حتى في أثناء الرحلات الخاصة التي يقومون بها(3).

إن ما تتضمنه القواعد السياسية الإسلامية عند خروج السفراء من أراضيها أن يخرجوا ما يريدون من الثياب والمتاع وما شابه ذلك ولا يسمح لهم بحمل الأشياء التي قد تضر الدولة مثل الأسحلة والرقيق أو شيء يستخدمونه من أجل أن تكون لهم قوة على المسلمين، أما غير ذلك فلا مانع من اصطحابه معه إلى بلده(4).

إن الدولة الإسلامية حرصت على توفير جميع وسائل الراحة لهؤلاء الرسل من أجل إتمام عملية المفاوضات بين الجانبين. فصرف الحاكم كثيراً من الأموال على استقبال السفراء والمبعوثين البيزنطيين(5).

الأمان الذي أعطي لهؤلاء الرسل يعطي الحق للحاكم المسلم أن يحتجز بعض السفراء إن وجد في عودتهم إلى أراضيهم خطراً على المسلمين(6).

---

(1) الواقدي: أبو عبد الله محمد، فتوح الشام، مكتبة المعارف (بيروت، 1966م) 64/1.
(2) سورة التوبة، الآية 16.
(3) محمود، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر (القاهرة، 1974م) ص275.
(4) نادي، سعيد: موسوعة هارون الرشيد، دار بيروت (بيروت، 1966م) 370/2.
(5) أحد، إسماعيل على: المرجع السابق، ص304.
(6) الطبري: المصدر السابق، 69/9.

لم يمنع الرسل البيزنطيين من إقامة بعض العلاقات وخصوصاً الاقتصادية مع المسلمين أو مع أفراد البعثة المرافقة التي يعينها الخليفة ويتضح من خلال سماح الخليفة المهدي في سنة (158هـ/775م) للمبعوث البيزنطي بإقامة مطاحن الغلال بالمشاركة مع أحد أفراد البعثة الإسلامية التي أمده بقرض بعد أن أستأذن الخليفة في ذلك فأذن له وبعد أن مات عادت هذه المطاحن إلى خزانة الدولة(1).

مما يدل على أن الرسل البيزنطيين كانت لهم مكانة عظيمة لدى الدولة الإسلامية أنهم كانوا يستشيرونهم في بعض الأمور التي تخصهم مثل بناء القصور وغيرها وخصوصاً المجال المعماري الذي تميز به البيزنطيون، فقد استغل تواجد بعض الرسل في مهام لدى الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان وطلب من الرسول الموفد إليه أن يبدي رأيه في القصر الذي بناه معاوية رضي الله عنه قصر الخضراء والذي قال أن سطحه يصلح للطيور وأرضه تصلح للفار وبالفعل قام معاوية بتغيير بناء القصر(2)، كما أن الخليفة العباسي المنصور عندما أتاه أحد المبعوثين البيزنطيين؛ لم يستشيره في بناء بغداد ولكنه أبدى بعض الملاحظات شتى إخراج السوق طلب منه أن يخرج السوق إلى خارج المدينة وبالفعل قام المنصور بعد فترة زمنية قصيرة بإخراج السوق خارج بغداد(3).

أن من حق السفير البيزنطي أن يمارس شعائره الدينية بكل حرية وكان على الحاكم المسلم أن يوفر له الأمن من أجل إتمام شعائره(4).

خلاصة القول إن الدولة الإسلامية وفقاً لمبدأ الأمان الذي كفل للسفير المحافظة على ماله ونفسه ألا يتعرض إلى أي أذى وألا يساء إليه ويعطي كافة الحقوق الإنسانية ما لم يتعارض مع أمن الدولة الإسلامية.

---

(1) نفس المصدر والصفحة.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، 360/7.

(3) مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى (بغداد، ن ت) 266/3.

(4) ابن الزبير: رشيد، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، دار المطبوعات والنشر (الكويت، 1959م) 1959م) ص74.

– الهدايا:

كان أسلوب تبادل الهدايا بين الحكام المسلمين والبيزنطيين من أهم أركان السياسية بين الطرفين والتي يتم تسجيلها في الرسائل[1]، والتي كانت من أهم الأساليب التي استخدمت في تلك الفترة كوسيلة ضغط معنوي لتحقيق الأهداف السياسية التي أرسلت السفارة من أجلها[2]، وهذا ما بينه الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع لابنه بأن يقوم بإرسال المبعوث محملاً بالهدايا كل عام إلى حكام الأقاليم المجاورة له. وبمتابعة جميع البعثات إلى العالم الإسلامي، فسوف نجد أن أسلوب الهدايا كان أسلوب متبعاً ومصاحباً لمعظم البعثات في تلك الفترة، وإن اختلفت في النوع والكم غير أنها دائماً تكون هدايا ذات قيمة كبيرة[3]. كما أن هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف البعثات وأهواء الأشخاص المرسل إليهم وإن كان أكثر أنواع الهدايا من الذهب والفضة والياقوت والماس والملابس الحريرية، والسيوف والرماح وقداح الذهب والأواني والثياب المطرزة والبغال والخيل والعبيد الجواري والأسرى ومن بين هذه الهدايا أيضاً الأدوية الطيبة والكتب الطيبة[4].

يتم توثيق تلك الهدايا في الرسائل التي يرسلها الحكام أو الأباطرة للعالم الإسلامي، ويجرى وصف محتويات الهدايا المرافقة للسفير، ويبدو أن الغرض من الوصف الدقيق للهدايا خشية سرقتها أو تبديلها بهدايا أقل قيمة ومقلدة[5].

وجدير بالذكر أن تلك الهدايا اختلفت قيمتها حسب الشخص المرسل إليه، فالهدية التي تعطي للخلفاء والملوك تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يرسل إلى الوزراء والولاة وحكام الأقاليم[6].

الأقاليم[6].

---

(1) ستيفن، رنسيمان، المرجع السابق، ص185.

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، 360/7.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 321/8.

(4) المقريزي، تقي الدين أحمد بن على: أنصاف الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، جمال الدين الشمال (القاهرة، 1973م) 230/2.

(5) ابن الزبير: المصدر السابق، ص60 إلى 65.

(6) المقريزي: المصدر السابق، 108/2.

وكانت هناك هيئة خاصة مهمتها تحديد الأشخاص الذين تعطي لهم هذه الهدايا مقابل تعاونهم، وسميت هذه الهدايا التجسسية كما سميت الهيئة أيضاً الهيئة التجسسية وهي تحدد الأفراد الذين تقدم إليهم الهدايا في البلد الموجه إليه هذه البعثة، ونحصر هؤلاء في الوزراء وحكام الولايات وكبار مستشاري الخلفاء[1].

في بعض الأحيان كان المبعوثون يحملون معهم الهدايا المادية إلى جانب بعض من الأسرى لإثبات حسن النية عند التفاوض وعقد اتفاقات الصلح أو الهدنة وخصوصاً عندما تكون البعثة هدفها إتمام عملية فداء الأسرى؛ أو حتى لفداء من معهم من الأسرى[2]، بخلاف تلك الهدايا فكانت البعثات تحمل معها في بعض الأحيان الخراج أو الجزية كذلك كلاب الصيد وبعض طيور الزينة والصقور والكتب والمخطوطات النادرة[3].

وكان من المعمول به في العالم الإسلامي حينما تصل البعثة إلى أراضيه محملة بالهدايا فإن على حرس الحدود أن لا يأخذوا منها شيئاً عندما يعلمهم أنه رسول وأن هذه الهدايا مبعوثة من قبل الإمبراطور وموجهة إلى الملك، وهي معفية من دفع العشر ومن الجمارك، ومسموح لتلك البعثة عندما يخرجون من الأراضي الإسلامية أن يحملوا ما يريدون من الأمتعة طالما ذلك لا يتعارض مع أمن الدولة الإسلامية في شيء[4].

ويتضح مما سبق أنه قد خصصت جزءاً كبيراً من ميزانية الدول في تلك الفترة للهدايا التي ترافق البعثات إلى الخارج حتى تضفي على البعثة شيئاً من الأبهة والعظمة والفخامة ومن الملاحظ أن الدولة البيزنطية مثلاً لا تكترث كثيراً بالقيم، والأخلاق من أجل تحقيق أهدافها، فكان من ضمن الثوابت لدى الدولة البيزنطية وقواعدها السياسية تقوم على خلق نوع من الفرقة بين اعدائها لخلق نوع من التوازن بينها وبينهم وبذلك فإنها تتجنب ويلات الحروب وتوفير كثير من نفقاتها واستخدامها لتحويل البعثات والهدايا التي تصاحبها من أجل تحقيق أهدافها.

---

(1) ستيفن رانسمان، المرجع السابق، ص187.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج23/7.

(3) الطبري: المصدر السابق، 321/8.

(4) أنس الأبيض: المرجع السابق، ص172.

- **الرسائل:**

أن الرسائل هي أهم شيء يحمله الرسول؛ فهي التي تحدد طبيعة عمل البعثة وتلخص طلبات الأباطرة والأمراء والخلفاء إلى الدولة المرسلة إليها تلك الرسالة[1].

كان الأسلوب المتبع هو كتابة اسم الخليفة المسلم أولاً ثم اسم الإمبراطور البيزنطي خصوصاً لما يكون هناك حاجة يريدون أن يقضوها[2]، أما في حالة أن يرسل الإمبراطور إلى أحد حكام الأقاليم الإسلامية فإنه يبدأ باسمه[3]، وفي الحالة التي يحس بها الأباطرة البيزنطيون بالقوة على المسلمين فإنهم يذكرون اسمهم أولاً وخصوصاً في الخطابات التي بها تهديد[4].

- **صياغة الرسائل:**

اختلفت صياغة الرسالة من بعثة إلى أخرى حسب هدف كل بعثة فهناك رسائل تكتب بصياغة لينة ويكون هدف البعثة تحقيق مصلحة ما سواء عقد صلح بين الجانبين أو عقد تبادل الأسرى وتبادل المصالح التجارية بين الطرفين أو عقد تحالف ضد جهة ما[5].

هناك رسائل قائمة على الندية بين الطرفين في صياغتها وغالباً ما تكون بين القادة المسلمين والبيزنطيين[6]. أما الرسائل التهديدية في حالة قوة الدولة البيزنطية أو الإسلامية فإن أسلوب الرسائل يختلف عن ذلك، فيبدو على هذه الرسائل الغطرسة وحدة اللهجة في الكتابة، أو تلك الرسائل التي كانت تتم على أساس الجدال الديني بين الطرفين[7].

---

(1) ابن الزبير: المصدر السابق، ص60، 61.

(2) الطبري، المصدر السابق، 321/8.

(3) عطا، زبيدة: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، 2002م) ص95.

(4) الطبري، المصدر السابق، 307/8.

(5) الطبري: المصدر السابق، 629/8، كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 333.

(6) عنان، محمد عبد الله: مواقف حاسمة في تاريخ الدولة الأموية الإسلامية، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1998م) ص225.

(7) الطبري: المصدر السابق، 307/8.

قد لا تلقي الرسائل والرسل كثيراً من الترحيب والحفاوة من قبل الحاكم، والذين وضعوا برامج خاصة من أجل أستقبالهم[1].

إن هذه الرسائل تكتب على أفخر أنواع الورق المعروف وأشهره الورق البغدادي الذي كانت تكتب عليه المصاحف لجودته فضلاً عن جمال خط تلك الرسائل وحسن إخراجها وتكتب الرسائل باللغة العربية بأسلوب واضح، ويصحب بترجمة بلغة الدولة الموجهة إليها الرسالة أو يترجم من قبل ترجمان الدولة المرسل إليها وعند الكتابة تترك هوامش بمسافات متساوية وعند الانتهاء من كتابتها تلف بشكل دائري على هيئة قصبة وتوضع في درج من الذهب أو الفضة أو المعدن المنقوش[2].

أما أسلوب هذه الرسائل فقد كان فصيحاً وواضحاً ولكنها لا تخلو في الغالب من عبارات الثناء والمجاملة وتذكير بالعلاقات الطيبة السابقة مع الأجداد ويشار في أخر الرسالة إلى اسم السفير الذي يحملها ومكانته في دولته وذكر الهدايا التي يحملها وتذيل بتوقيع الخليفة أو بصمة خاتمة الذي يحمل اسمه[3].

---

(1) أنيس، الأبيض: المرجع السابق، ص160.

(2) الرحيلي، المرجع السابق، ص39.

(3) نفس المرجع، ص40.

المبحث الثاني
أنواع وأهداف السفارات

لقد تعددت مهام وأهداف السفارات من بيزنطة إلى العالم الإسلامي والعكس وقد قمت بتقسيمها حسب أهدافها:

1) سياسية.

2) اقتصادية.

3) اجتماعية.

4) علمية وثقافية.

5) عمرانية فنية.

أولاً– سفارات سياسية:

أن السفارات السياسية متنوعة ومتعددة وسأتعمق في دراسة هذا الجانب أكثر من الجوانب الآخر باعتباره محور دراستي وابدأها بالتالي:

1– هناك سفارات غرضها طلب الصلح وهي التي كان يتم إرسالها أثناء أو قبل أن تدور المعارك بين الجانبين، وذلك من أجل محاولة منع القوات الإسلامية من الهجوم على بعض المناطق، كالسفارة التي أرسلها شارل الأصلع بن لويس التقي مع بعد الرحمن بن الحكم عندما هزم الأصلح على يد القائد موسى بن موسى إلى سرقسطة سنة 236هـ/850م وجاء طلب الصلح لأن الأصلع كان غارقاً في الفتن الداخلية ومؤامرات إخوته وهجمات النورمان على سواحل بلاده مما اضطره لعقد صلح مع موسى بن موسى واسترضائه بالهدايا والتحف الجميلة وبذلك يضمن عدم الهجوم على بعض المناطق حتى يتفرغ للأمور الأخرى[1].

(1) محمد محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ط3، مؤسسة الثقافة الجامعية (الإسكندرية، 1990م) ص188، 189.

2- كما توجد سفارات التحالف ضد عدو مشترك أو على الأقل تضمن الحياد وأن كان مسلماً مثل السفارة المتبادلة بين الأندلس والقسطنطينية سنة 338هـ/946م والسر في هذه السفارات يرع إلى الإمبراطور قسطنطين السابع الذي كان يعد إلى حملة ضد جزيرة كريت، فأراد من خلال هذه السفارة مساعدة الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث ومشاركته في هذه الحملة أو حتى ضمان حيادة في هذه الحرب(1).

3- أما النوع الآخر من السفارات البيزنطية الموجه إلى العالم الإسلامي كان من أجل طلب التحالف وهذا النوع من الرسل يتوافر في حال وجود أعداء مشتركين سواء كانوا مسلمين أو غير ذلك؛ حتى بين أطراف بيزنطية، فكانت الدولة البيزنطية تستغل هذا الوضع من أجل أن تجد نوعاً من التحالف المشترك من أجل أن تقضي على هذا العدو المشترك. وهذا النوع من العلاقات ما سنقوم بدراسته في الفصول اللاحقة والأمثلة على ذلك كثيرة فقد استغلت الدولة البيزنطية الصراع والعداء بين الدولة العباسية والدولة الأموية في الأندلس وعملت على التقارب بينها وبين الدولة الأموية في الأندلس لمواجهة العباسيين في المشرق(2)، لذلك فإن الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل أرسل بعثة دبلوماسية إلى الدولة الأموية في بلاد الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط 225هـ/840م لترغيب الأمويين في أملاكهم السابقة في المشرق والتي استولى عليها العباسيون وحاول الرسول البيزنطي أن يقتنع عبد الرحمن الأوسط بأن يعيد المرابطين إلى جزيرة كريت ويبدو أن هذه البعثة لم تحقق ما تصبوا إليه من أهداف حيث أن عبد الرحمن الأوسط لم يورط نفسه في تحالف مع البيزنطيين وإن لم يعلن ذلك بشكل واضح بل أنه أصر على وجود المودة بين الجانبين(3).

4- إلى جانب هذه البعثات نجد نوعاً جديداً من البعثات يتعلق بمعرفة الاستعدادات العسكرية لبعض الدول الإسلامية؛ فكانت الدولة البيزنطية ترسل بعثتها إلى بعض الدول الإسلامية بقصد التجسس كالبعثة التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي اناستاسيوس الثاني Anastasius عام

---

(1) الراجحي: زكية عبد السلام، العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية، دار الكتب الوطنية (بنغازي، 2008م).

(2) ربيع، حسنين محمد: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 1983م) ص147-148.

(3) الحايك، سيمون: عبد الرحمن الأوسط، المطبعة البوليسية (لبنان، د.ت) ص59.

94هـ/713م، لمعرفة الاستعدادات الإسلامية بعد أن وصلته معلومات تفيد بأن هناك بعض الاستعدادات البحرية للدولة الإسلامية؛ فأرسل هذه السفارة التجسسية إلى دمشق لمعرفة نوايا الدولة الإسلامية من أجل الهجوم على الدولة البيزنطية من عدمه[1].

ويبدو أن مثل هذه البعثات كانت ترسل تحت ستار آخر غير هذا الهدف التي أرسله من أجله وهو الهدف الحقيقي، وكان من نتاج هذه البعثة أنها ساعدت على توفير المعلومات التي أدت إلى تحصين المدينة وإفشال الحملة على القسطنطينية، وهذا الأمر يفسر بعض الحالات التي كان المسلمون يحجزون السفراء حتى ينتهوا من معاركهم مع البيزنطيين خشية نقل معلومات عن الجيش الإسلامي فتفشل الحملة[2].

5- حاولت بعض البعثات التدخل في الشئون الداخلية وذلك بطلب التحالف ضد أحد الأطراف الداخلة في الصراع سواء مسيحية أو إسلامية[3]، كتلك البعثة التي أرسلها الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى القائد آيزونِ Aizon (عيسون) لمحالفته ومد الأمير عبد الرحمن بمعلومات عن الاجتماع الذي حضره في (إكس لا شابل) بأشراف لويس التقي الذي كان هدفه غزو شمال الأندلس، أخذ هذا الثائر يحرض على الثورة ضد الملك الفرنجي لويس التقى وحدثت تلك الثور وحضر هذا القائد الثائر إلى قرطبة لطلب المدد وجعل مدينة أشونة قاعدة تصد قوات الفرنجية، ثم ما لبث الأمير عبدالرحمن أن بعث بجيش كبير إلى الشمال هزم الفرنجة وعاد ظافراً إلى قرطبة.

لم ينس هذا الثائر ما قدم له من دعم إسلامي فبعث بخطاب شكر وعرفان للأمير عبد الرحمن الذي استقبل ذلك الخطاب بترحيب شديد وقام بدوره بأصاء حكام لمناطق المجاورة له

---

(1) زعرور، إبراهيم وآخرون: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق (دمشق، 1990م) ص179.

(2) الطبري: المصدر السابق، 69/9.

(3) صقر، نادية حسين: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة، 2004م) ص110.

مثل حاكم سرقسطة عبد الله كليب وطلب مد هذا الثائر بكل ما يحتاج إليه من مساعدة وأن يبالغوا في إكرامه(1).

6- توجد سفارات غرضها الدخول في مفاوضات على بنود معاهدات الصلح بين الجانبين وتبادل الأسرى مقابل أن تتوقف عمليات الهجوم أو حتى إجراء عملية فداء الأسرى(2)، وكثرت هذه النوعية نتيجة لكثرة الحروب التي تمت بين الجانبين(3). والتي أسفرت عن وقوع عدد من الأسرى عند كل طرف وكانت إحدى طرق تصريف هؤلاء الأسرى هي عملية الفداء والتي تستوجب كثيراً من السفارات المتبادلة بين الطرفين وقد يقدم هؤلاء الأسرى كهدايا، مثل ما حد سنة 396هـ/1006م عندما أرسل صاحب القسطنطينية بأسيل الثاني سفارة لتجديد الصلات السابقة وجلبة هذه السفارة هدايا ورسالة مكتوبة بالذهب، وكانت تلك عادة الأباطرة في إظهار غناهم ومن ضمن هذه الهدايا مجموعة من الأسرة المسلمين ليتقرب بهم إلى السلطة الأندلسية، كانت السلطات البيزنطية تعلم مقدار السرور الذي يسوقه هذا الأمير إلى سلطة قرطبة(4).

ثانياً- سفارات اقتصادية:

إذا تركنا الجانب السياسي في السفارات المرسلة لكلتا الدولتين الإسلامية أو المسيحية وانتقلنا إلى السفارات الخاصة بترويج وتدعيم العلاقات التجارية بين البلدين والتي كانت قليلة لكثرة الحروب بينهم، ونرى أن الجانب البيزنطي كان يستخدمها من أجل أن يجعلها حافزاً لعقد بعض الاتفاقيات بين الجانبي مثل الهدنة والصلح أو محاولة إنهاء الحرب حتى يتسنى الاتصال بين مرافق الدولتين واتصال التجار(5)، وكانت تلك البعثات مهمتها الرئيسية تنشيط العلاقات التجارية، كالبعثة التي أرسلها شارلمان اقتراح عقد صلح مع الأمير عبد الرحمن الداخل لإحلال السلام فالتقيا في نصف الطريق وعقدا المعاهدة 780م بعد أن اقتنع الفريقين بعقم هذه الحرب وعبثها فمالا لعقد لصح وصفقات تجارية خاص وأن الأندلس تمتعت بتقدم صناعي خاصة في

---

(1) محمد مرسي الشيخ: المرجع السابق، ص240-242.

(2) الطبري: المصدر السابق، 629/8.

(3) يوسف، جوزيف نسيم: الإسلام والمسيحية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1991م) ص50، 51.

(4) المسعودي: أبو الحسن على بم الحسين، التنبيه والإشراف، مطبعة باريس (ليدن، 1893م) ص189، 196.

(5) الطبري: المصدر السابق، 629/8.

نصاعة الخزف والأواني والنقش، والمعادن والسلع الجلدية والصناعات العاجية وصناعات الأثاث والعطور، كل هذه الصناعات انتجها آلاف الفنانين فضلاً عن صناعة الغزل والنسيج والمزدانة بالرسوم والألوان وصناعة الأسلحة والأصبغة بالإضافة إلى إنتاج الحديد والزنق والملح ومن ثم انتعشت التجارة وتبادل السلع، والتي كانت الدولة الفرنجة في حاجة إلى مثل هذه الصناعات المتقدمة التي لا تستطيع إنتاجها أو الحصول عليها من أي مكان أخر وفي المقابل كان الأندلسيين في حاجة لتجارة الفرنجة لا سيما تجارة رقيق شرق أوروبا الذي كان الأمويون في الأندلس في أمس الحاجة إليه لذلك تم الالتفات لصوت العقل والسلام وتبادل المنافع بينهما[1].

ثالثاً- سفارات اجتماعية:

كان الغرض من هذه السفارات تقديم التهاني بتولي الحكم[2]، وهذه النوعية من السفارات ليست بكثيرة إلا أنها تعكس روح التفاهم بين الطرفين، والسلام السائد بين الطرفين[3].

كما تكون التهنئة من أجل أشياء أخرى كانتصار في بعض المعارك المهمة، وقد ترسل السفارات إلى أولي الأمر من المسلمين سواء كانوا من السنة أم من الشيعة لحكام الأقاليم كما ترسل الرسل للتهنئة بالعياد. كما أرسل الأباطرة البيزنطيون بعضاً من السفارات البيزنطية إلى العالم الإسلامي لتحديد المبلغ الذي يدفع كجزية وتحديد الأفراد الذين سوف يقومون بدفع هذه المبالغ إلى المسلمين ومن الذي يعفى من الجزية[4].

---

(1) محمد محمد مرسي: المرجع السابق، ص229، 230.

(2) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص100، 105.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ص176.

(4) السويكت: سليمان عبد الله، كتاب الصوائف، دار النهضة العربية، (بيروت، 1986م) ص10.

رابعاً– سفارات علمية وثقافية:

هذا النوع من السفارات كانت لأغراض ثقافية وفنية والتي ساعدت العالم الإسلامي على الاستفادة من العلوم اليونانية القديمة والعمل على تطويرها بعد ذلك وترجمة كثير من الكتب العلمية في مختلف المجالات، وكانت هذه السفارات تعكس روح التعاون العلمي والثقافي بين الجانبين على الرغم من الاختلاف الديني[1]، ولذى قد يكون بعض هذه السفارات مخصصة لأهداف أخرى غير هذا الهدف كالتحالف أو عقد هدنة أو تجسسيه وغيرها من الأمور المخفية حيث تصطحب معها بعض الكتب والمراجع العلمية، ويعرف هؤلاء الرسل اللغة الأصلية للمراجع وهي اليونانية بالإضافة إلى اللغة العربية واللغة اللاتينية، وقد يقوم هؤلاء الرسل في بعض الأحيان بترجمة هذه الكتب أو أجاد من يترجمها[2]، كسفارة التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع سنة 336هـ/948م إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس تتعلق بالكتابين كما ذكر ابن أبي أصبيعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) نقلاً كما يذكر عن ابن جلجل أن هذه السفارة تحمل كتابين كهدية وهما:

أولاً: كتاب الحشائش في النبات (Matevia Medica) لديسقو ريدس (Dioslovides) اليونان وهذا الكتاب باللغة اليونانية.

ثانياً: كتاب في التاريخ باللغة اللاتينية تأليف هروشيش (Orosius) وهو مؤرخ أسباني عاش في القرن الرابع والخامس الميلادي.

لعدم أو ندرت من يعرف اللغة الإغريقية في الأندلس فقد طلب الخليفة الناصر من الإمبراطور قسطنطين السابع أرسال من يعرف الإغريقية، وتم هذا في جواب السفارة البيزنطية، فأرسل إلى الخليفة الناصر براهب وكان يسمى نقولا فوصل إلى قرطبة سنة 340هـ/952م وبقى في الأندلس حتى وفاته في عهد الحكم الثاني (350 إلى 366) [3].

---

(1) حسن حسن: المرجع السابق، 248/3.

(2) الدينوري، ابن قتيبة: كتاب عيون الأخبار، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1925م) 1، ص199، 200.

(3) ابن أبي صبيعة: موفق الدين أبو العباس أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت، 1979م) 75/3.

خامساً– سفارات عمرانية فنية:

كان هناك نوع أخر من السفارات تتعلق بجلب المواد العمرانية والفنية الدقيقة مثل مواد البناء والتشييد والفسيفساء والرخام والأعمدة خاصة في عهد الناصر الذي شهد ازدهاراً كبيراً فبداء في بناء مدينة الزهراء وزاد في مسجد قرطبة الجامع وعلى سبيل المثال السفارة التي أرسلها الخليفة الناصر إلى القسطنطينية سنة 38هـ/99م وذلك لأجل جلب مواد البناء ليستعملها في بناء مدينة الزهراء كما ذكرنا سابقاً وفي زيادة مسجدة قرطبة فأهدا الإمبراطور قسطنطين السابع الفسيفساء وشُري الباقي[1]، ويقول المقريزي (وأما الحوض المنقوش الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبة، أحمد اليوناني من القسطنطينية) كما سميت (اليتيمة) وهي (صهريج أو حوض كبير) [2].

كما أهدى صاحب القسطنطينية عدد من السواري التي استعملت في بناء مدينة الزهراء وقصرها[3].

---

(1) حجي: عبد الرحمن علي، العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد22، ص85.

(2) المقري، المصدر السابق، 568/1.

(3) عبد الرحمن حجي، المرجع السابق، ص85.

الفصل الثالث
السفارات في عهد عبد الرحمن الأوسط
وعبدالرحمن الناصر

المبحث الأول: السفارة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط

المبحث الثاني: السفارة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر

المبحث الأول

السفارة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط

ارتفع شأن الأمارة الأموية في عهد عبد الرحمن الأوسط وأصبحت الدول تطلب ودرها وتقيم علاقات سياسية معها والتي من بينها الإمبراطورية البيزنطية رغم أن الإمارة قامة عام (138هـ/755م) ولم يحدث الاتصال إلا بعد قرابة قرن من الزمان وذلك للأسباب التالية:

1- انشغال كل طرف بجيرانه الأقربين حرباً أو سلماً وهو عامل قوي أسهم في تأخير الاتصال بينهم وعدم وضوحه.

2- انشغال الأمويين في الأندلس في أول عهدهم بتأسيس دولتهم وترتيب دواوينها.

3- إخماد الفتن والثورات الداخلية المناهضة للحكم في كلتا الدولتين والقضاء على مناوئيهم من الثائرين والطامعين.

4- إن دولة الأندلس تعتبر حديثة النشأة ولم تبرز في ميدان القوى الكبرى إلا في عهد عبد الرحمن الأوسط. حيث ظهرت هيبتها وعظمها ورقيها وحضارتها التي تقارع الأمم المتحضرة في ذلك الوقت[1].

واستغرق ذلك وقتاً طويلاً قد يفسر -بالإضافة إلى ما سبق- تأخر الاتصال الأموي البيزنطي في عهد الإمارة فقد مضى قرابة قرن على قيام الدولة الأموية في الأندلس دون وجود أي ذكر لاتصال أموي بيزنطي في عهد الإمارة.

ويقول السيوطي في كتابة تاريخ الخلفاء عند حديثه عن الدولة الأموية في الأندلس بذكر إمارة عبد الرحمن فيقول: (هو أول من فخم الملك بالأندلس من الأموية وكساه أبهة الخلافة والجلالة وفي أيامه أحدث بالأندلس لبس المطرز، وضرب الدراهم، ولم يكن بها دار ضرب منذ

---

(1) الرحيلي، المرجع السابق، ص137، 139.

فتحها العرب، وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليه من دراهم أهل المشرق، وكان شبيهاً بالوليد بن عبد الملك في جبروته، وبالمأمون العباسي في طلب الفلسفة...) [1].

- العلاقة الأندلسية البيزنطية:

كان للاستقرار النسبي للوضعين العسكري والسياسي بين المسلمين في الأندلس والكارولنجيين الفرنجة في غالة، أثر كبير في قيام نوع من العلاقات السياسية غير الواضحة بين القوى في العالمين الإسلامي والنصراني[2]، وكان بين ملك الفرنجة وهو أول من سلك هذا المسلك حين شعر بقوة الدولة الأموية في الأندلس والتطور الذي قيام بينها وبين الخلافة العباسية في المشرق، فأرسل سفارة إلى بغداد من أجل هذه الغاية، وقد رحب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بهذه الخطوة السياسية وبادله السفارة ليعقد معه تحالفاً غير واضح المعالم ضد الأمويين في الأندلس، والمعروف أن القوى السياسية في كل من العالمين الإسلامي والنصراني كانت آنذاك تنافس بعضها بعضاً، وقد توزعت على أربعة معسكرات هي الخلافة العباسية المناهضة للأمويين في الأندلس والإمبراطورية البيزنطية الكارهة للإمبراطورية الكاررولنجية منذ أن نادي ملكها بنفسه إمبراطوراً، واضحى لكل معسكر من تلك المعسكرات الأربعة يبحث عن حليف تتفق أهدافه مع آماله[3].

كان من الطبيعي إزاء هذا التفكير السياسي، أن تميل الخلافة العباسية إلى دولة الفرنجة التي تعادي كلاً من الإمارة الأموية في الأندلس والإمبراطورية البيزنطية وفي الوقت نفسه، تطلعت الإمارة الأموية للتعاون مع البيزنطيين الذين يعادون كلاً من دولة الفرنجة والخلافة العباسية حيث كان العباسيون يغزون الأراضي البيزنطية باستمرار بالإضافة إلى انتزاع الأغالبة جزيرة صقلية منها[4].

---

(1) السيوطي، المصدر السابق، ص394.

(2) سليمان، الرحيلي: السفارات الإسلامية للدولة البيزنطية، ص227.

(3) العدوي، إبراهيم أحمد: المسلمون والجرمان، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994م) ص 264، 265.

(4) سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية، ص149.

وأضحت المصالح توجه العلاقات السياسية بين القوى الآنفة الذكر، لكن بدون أن تتطور إلى تبادل التمثيل السياسي الذي لم يكن معتمداً في ذلك الوقت من القرون الوسطى، وكان الوضع مقتصراً على نشاط السفراء الذين تنتهي مهمتهم بانتهاء رسالتهم[1].

وعلى هذه القواعد البدائية قام الخليفة هارون الرشيد وشارلمان بتبادل السفارات بهدف عزل الإمارة الأموية في قرطبة، والحد من أطماع حكامها في التوسع على حساب الدولتين العباسية والكارولنجية[2].

لم تقف الدولتان الأموية والبيزنطية موقف المتفرج إزاء هذه الاتصالات السياسية بين العباسيين والفرنجة، فعمدت كل منهما إلى انتهاز الفرص المؤاتية لخلق نوع من التفاهم والتحالف بينهما وحدث في عام (223هـ/838م).

ولكن لا شك في المصادر التاريخية يأيد مثل هذا التحالف ربما أردت تلك القوى أن تصل بذلك التواصل إلى تحالف لكن ذلك لم يحصل.

تعَرّض الإمبراطور البيزنطي لضغط عسكري من جانب الخليفة العباسي المعتصم الذي غزا عمورية في عمق أسيا الصغرى، وظل يخشى انتقامه، بالإضافة إلى ما جرى من توغل الأغالبة في جزيرة صقلية، وما أنزله المسلمون الأندلسيون الريضيون في جزيرة كريت بالإمبراطورية من هزائم عند سواحل أسيا الصغرى، حيث أقترب خطرهم من العاصمة القسطنطينية، ما جعله يعتقد أنه لا قبل له بقوة المسلمين المتزايدة. قرر التماس المساعدة من الخارج[3].

توجه أولاً إلى الدول النصرانية في أوروبا، فأرسل سفارتين بفارق زمني لعدة أشهر، توجهت السفارة الأولى إلى الملك الكارولنجي لويس التقي على الرغم من النفور الظاهر بينهما، وتوجهت السفارة الثانية إلى البندقية[4].

---

(1) حسين، مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص326.

(2) طقوش، المرجع السابق، ص231.

(3) طقوش، المرجع السابق، ص231، 232.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، 2، ص256.

لكنه لم يحصل على أي فائدة، فتوجه عندئذ إلى الأمويين في قرطبة، فأرسل في عام (225هـ/840م) سفارة إلى العاصمة الأندلسية قرطبة برئاسة قرطيوس، وهو من أصل يوناني يجيد اللغة العربية، وحمّله هدايا إلى الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط(1)، ورسالة تتضمن البنود التالية:

– طلب منه عقد تحالف ومعاهدة صداقة.

– حرضه على استعادة ميراث أجداده في المشرق الذي اغتصبه العباسيون.

– تمني عليه انتزاع جزيرة كريت من الريضيين وإعادتها إلى بيزنطة.

– ألقى باللوم على عدوانية العباسيين وأتباعهم الأغالبة الذين هم أعداء طبيعيين لكل من البيزنطيين والأمويين(2).

والحقيقة أن هذه المهام السياسية غير المسبوقة في تاريخ المسلمين في الأندلس كانت البداية لتقليد بدأ بين قرطبة والقسطنطينية حيث تكررت أكثر من مرة في المستقبل في عصر الخلافة.

ويذكر المقري في كتابه نفح الطيب موجزاً عن هذه السفارة فيقول: (وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم توفلس بعث إلى الأمير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته ويرغب في ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق به المأمون والمعتصم حتى أنه ذكرهما له في كتابه وعبر عنهما بابني مراحل وماردة، فكافأه الأمير عبد الرحمن عن هديته وبعث إليه يحي الغزال من كبار أهل الدولة، وكان مشهوراً في الشعر والحكمة، وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بني العباس) (3).

---

(1) المقري، المصدر السابق، ص332.

(2) الرحيلي، المرجع السابق، ص143.

(3) المقري، المصدر السابق، 1،346.

ونجد هذا النص باختصار عند ابن خلدون[1] مما يشير أنه والمقري أخذا من نفس المصدر وعلى الراجح أن هذا المصدر مقتبس عن ابن حيان.

أما ما أوردته المصادر الإسلامية الأخرى عن السفارات بين الأمويين والبيزنطيين فهو نزر يسير لا يتعدى ما ورد سابقاً عند استعراض تلك السفارات.

وتكاد تتفق المصادر الإسلامية –وهي أندلسية غالباً– على بداية الاتصال بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين بتحديده بسنة(225هـ/839م) عندما قدمت أول سفارة بيزنطية إلى الأندلس الأموية[2].

كذلك لم تشر المصادر إلى كيفية استقبال الأمير عبد الرحمن لمبعوثي الإمبراطور البيزنطي وعلى أي هيئة قابلهم، ومن حضر هذه المقابلة من الجانب الأموي، واكتفت، في هذا الصدد بذكر أن البعثة البيزنطية كانت بزعامة قراطيوس Kratius الذي كان ترجماناً في البلاط البيزنطي، وأنهم قابلوا عبد الرحمن وقدموا له هدية من قبل الإمبراطور فقبلها ثم أمر أن يكافأ الإمبراطور بمثلها. وهو تقليد جرت عليه الدول آنذاك وما زال متبعاً إلى اليوم مع اختلاف يتناسب مع ارتقاء الأمم.

قد وردت هذه النصوص الجديدة مجتمعة في مخطوطة عثر عليها بين مخطوطات مهمة في مكتبة جامع القرويين بفارس وهذه القطعة الخاصة بالأمويين في الأندلس إبان القرن التاسع تؤلف جزءاً من كتاب (المقتبس) لأبي مروان ابن حيان المؤرخ الأندلسي[3]. وقد اقتبس الرواية الخاصة بالسفارة المزدوجة عن مؤرخين عاشا في نهاية القرن العاشر، وهما الحسن بن محمد بن مفرج وعيسى بن محمد الرازي. وهذا نص المخطوطة:

(يقرر هذان المؤرخان أن سفيراً من لدن الإمبراطور توفلس Theophile، ملك الروح الكبير وصاحب القسطنطينية، قد وصل في سنة (225هـ/829–840م) إلى العاصمة الإسبانية

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، 4،282.

(2) ابن خلدون، نفس المصدر ، 4،282.

(3) ليفي، بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، تحقيق: السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة الشباب الجامعية، (الإسكندرية، 2012م) ص94.

(وكان هذا ترجماناً بالبلاط البيزنطي أسمه قراطيوس الرومي Kartiyus وكان يحمل هدايا إلى أمير الأندلس، ورسالة رسمية يطلب فيها توفلس من عبد الرحمن الأوسط مواصلته، ويرغبه في ملك سلفه[1].

بالمشرق ويطلب منه أن يعقد معه صداقه، وقد تعهد له أن يستعيد له ميراث أجداده الأمويين في الشرق أي الشام وهو الذي كان العباسيون قد انتزعوه، كما طلب هو لنفسه في النهاية جزيرة كريت، وكانت قد وقعت في أيدي مغامرين من أصل أسباني)[2].

كما أن ما ورده الباحثون المحدثون لا يتعدى ذلك أيضاً مع اختلاف آرائهم وتباينها في استنتاج أهداف تلك الاتصالات. غير أن بروفنسال قد ضيع تلك المخطوطات وبقى ما كتبه هو المصدر.

ولكن الجدير في هذا الأمر أني وجدت مخطوطة في مسجد الجغبوب تتألف من أربع ورقات تتحدث عن هذه السفارة التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي تيوفليس إلى الأندلس زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط، عن طريق سفيره وترجمان بلاطه قرطيوس الذي حمل رسالة وهدايا من الإمبراطور وبدء في هذه الرسالة بذكر الأمير عبد الرحمن واثنى عليه ثم ذكر اسم المبعوث الذين أرسل الرسالة وهو يطلب من الأمير عبد الرحمن استمرار الصداق وتذكيره بالعدو المشترك وهم العباسيون وما فعلوه بأجداده الأمويون والبيزنطيين ويتعهد له بمساعدته لاسترجاع ذلك الملك المغتصب في مقابل ذلك يساعده الأمير عبد الرحمن على طرد فتحي جريرية قريطش وكف المدد عنهم وقبل عبد الرحمن الهدية وهي عبارة عن عمامة زرديه مزخرفة وسبع قطع من الحرير الفاخر وأخر مطرزة لا يلبسها إلا الملوك وسيف براق يميل للاحمرار ودرع[3].

اجتمع الأمير عبد الرحمن بهذا السفير بعد أن نظم حفلاً لاستقباله في بلاطه ورجال الدولة يحيطون به فقدموا له الرسالة والهدايا فأخذا الرسالة وقبل الهدايا وخصص لهم مكان لإقامتهم وجالة هذه السفارة في شوارع قرطبة التي سحرتهم بجمالها وببلطها ومكثوا في قرطبة

---

(1) ليقي بروفنسال، المرجع السابق، ص95.

(2) المرجع نفسه، ص95، 96.

(3) مؤلف مجهول، مخطوطة الجغبوب (الجغبوب، 5ت) ص1.

قرابة الشهر ثم عادوا بصحبة سفير الأمير عبد الرحمن وترجمانه يحي الغزالي الذي يحمل كتاباً وهدايا للإمبراطور [1]، وسنتحدث عن هذا في سفارة يحي الغزال.

في هذه المخطوطة يوجد انسجام كبير بينها وبين المعلومات الموجودة في أغلب المصادر التي عرضها سابقاً الإمبراطور ثيوفيلس هوالذي بعث السفارة أولاً عن طريق سفيره قرطيوس وأن الأمير عبد الرحمن أقام حفلاً لاستقبالهم وسط رجالة دولته وأرسل معهم سفيراً وهو يحي الغزال الذي حمل رسالة وهدية للإمبراطور سنة (225هـ) هذه أمور ذكرتها المصادر السابقة ولكن الجديد هو أن السبب الرئيسي لهذه السفارة هو استرجاع الجزيرة من الفاتحين الأندلسيين وليس بسبب الضغط العباسي ولكنه ربما أراد ضرب عصفوريين بحجر واحد وهي استرجاع الجزيرة وأثارة المشاكل على العباسيين بالإضافة إلى تفضيل في نوع الهدايا وهي عمامة زردية مزخرفة وسبع قطع من الحرير الفاخر وأخرى مطرزة ليلبسها إلا الملوك وسيف براق يميل إلى الاحمرار ودرع. وكذلك تحديد المدة التي قضتها تلك السفارة بقرابة الشهر هذه المعلومات مهمة امدتني بها هذه المخطوطة.

- يحي الغزال:

إن شخصية الشاعر الفيلسوف يحي بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال هي من طرائف الشخصيات في الأندلس وهو عربي من بكر بن وائل، ولد في جيان، وقد سمي بالغزال لجمال هيئته وأناقته، وكان شخص، يخلط الجد بالهزل، ويأخذ الدنيا أخذاً ساخراً، لا يكاد يغفل لشيء وكان شاعراً مبدعاً وعاقلاً جريئاً، لا يكف عن مهاجمة الفقهاء ويسمى بعضهم بالمنافقين لتظاهرهم بالتقشف والعزوف عن الدنيا مع غناهم وحرصهم على المال والجاه، وقد تعقبه بعض الفقهاء لكي يجدوا وسيلة لاتهامه بالزندقة والقضاء عليه، ولكنه كان أمهر منهم فلم يعطيهم فرصة في البداية، ثم هرب إلى المشرق وغاب عنهم زمناً وفي هذه الرحلة قال كلاماً كثيراً كان

---

(1) مؤلف مجهول، نفس المصدر، ص 1، 2.

من الممكن أن يؤذيه ولكن أحداً لم يثبت عليه شيء ثابت وعندما عاد إلى الأندلس لقي قبولاً من عبد الرحمن الأوسط واصبح من ندمائه وأصحابه[1].

ثم تولى الحسبة ثم أصبح من كتاب البلاط وكان منصب الكتابة من المناصب التي كانت تسند إلى الأكفاء من الأدباء والشعراء ونحوهم، ومن ثم توثقت العلاقة بين الغزال والأمير عبد الرحمن الأوسط وغدا من بطانته الذين كان يستشيرهم في كثير من شؤون الدولة ومهامها[2]. على أن أهم المناصب التي أسندت له هي السفارة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط فسافر مرتين أحدهما إلى بلاط الدولة البيزنطية والأخرى إلى بلاط مملكة دانمرقة في الشمال.

كان رجلاً طويلاً عريضاً وسيم الوجه موقور النشاط ولهذا لقب بالغزال ولهذا اختير كسفير وفي ذلك يروي أن يحي الغزال دخل على الأمير عبد الرحمن يوماً فقال ألأمير: (جاء الغزال بحسنة وجماله) [3]. وهو كثير القول مطبوع النظم في الحكم والجدّ والهزل، ومع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده[4]، ربما هذه الصفات مجتمعة هي التي جعلت عبد الرحمن يختاره للسفارة بينه وبين الملوك يحسن وقعه على النفوس[5].

ومن الطريف أن يحي الغزال ممن طالبهم صاحب المظالم وكانت تهمته أنه فرق في الناس القمح المخصص للجنود، ولكن الغزال وجد أن الناس أولى به إذا نزلت بهم مجاعة، وقد عزل الغزال من وظيفته لهذا السبب، وانصرف إلى حياة الشعر واللهو في قرطبة بعد ذلك[6].

---

(1) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 1996م) ج1ن ص91، 92.

(2) عنان: يحي الغزال، الثقافة، العدد 261 محرم 1363هـ، ص16-17.

(3) أحمد العبادي: المرجع السابق، ص142.

(4) الحميدي: عبد الله محمد بن ابي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولات الأندلس، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، (بيروت، 2004م).

(5) أحمد العبادي، المرجع السابق، ص142.

(6) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص94.

- اختلاط سفارتي الغزال إلى بيزنطة وبلاد المجوس سأحاول عرض بعض آراء المؤرخين الذين تعرضوا إلى سفارات الغزال.

بعض الباحثين يرى أن سفارة الغزال لم تذهب إلى القسطنطينية، وإنما توجهت إلى ملك الدنمارك في الشمال واعتمدوا في ذلك على رواية ابن دحية المتوفي في سنة 633هـ الذي تحدث عن هذه السفارة باسهاب في كتابه المطرب[1].

ولم يشر إلى أية بعثة قام بها الغزال إلى بلاط القسطنطينية. وعلى العكس من ذلك ما ذكره كثير من المؤرخين ممن عاشوا قبله كابن حيان أو بعده كابن خلدون والمقري، فقد أخبروا أن الغزال ذهب في سفارتين إحداهما إلى بيزنطة الآنفة الذكر والأخرى إلى دانمرقة في الشمال[2].

والمصادر التي تذكر ذهاب سفارة الغزال إلى القسطنطينية كابن حيان وابن خلدون والمقري يجمعوا على ذهاب الغزال كان في سنة مائتين وخمس وعشرين 225هـ/839م. بعد مقدم رسل بيزنطيين إلى قرطبة في السنة نفسها، بينما رحلة الغزال في الواقع إلى بلاد النورمان التي أسهب ابن دحية في وصفها قد تمت في أواخر سنة مائتين وثلاثين 230هـ/844م أي بعد انتهاء غارات النورمان على الأندلس في هذه السنة[3].

وعلى هذا هناك قرابة أربع إلى خمس سنوات فرقاً بين الرحلتين ومن غير المعقول أن يكون الغزال قد قضي هذه متنقلا بين القسطنطينية ومملكة النورمان لا سيما أن بعض هذه المصادر تشير إلى أن الرحلة استغرقت تسعة أشهر دون تحديد، وهو ما يمكن قبوله وقتا استغرقته رحلته إلى إحدى الجهتين[4].

---

(1) الرحيلي، سليمان ضفيدع: العلاقات السليمة بين الدولة العباسية وأوروبا في العصر العباسي المبكر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، د ت) ص95-133.

(2) الرحيلي، المرجع السابق، ص139-144.

(3) حسين مؤنس: غارات النورمانين على الأندلس، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، العدد الأول مايو 1949م، ص42-52.

(4) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص138-140.

والشمالية منهما أكثر احتمالاً لبعدها، بالإضافة إلى أن الطريق إليها لم يكن مألوفاً أو مرتاداً فضلاً عن كثرة مخاطره بسبب أمواجه وخلجانه. ولهذا يتبادر إلى الذهن أن الغزال لابد قد عاد إلى قرطبة بعد أن أنهى مهمته في القسطنطينية ومكث ثلاث سنوات على الأقل ثم وقع عليه الاختيار مرة ثانية للذهاب في سفارة جديدة إلى ملك النورمان في الشمال وذلك بسبب خبرة الغزال التي اكتسبها في سفارته الأولى ومن ثم رأى البلاط الأموي أن الغزال هو أصلح من يقوم بهذه المهمة، واختلاف التاريخ بين الرحلتين والظروف التي تمت فيها كل منهما قد يكون السبيل الوحيد الذي يمكن التفريق بينهما على أساسه خصوصاً بعد اختلاط وصفهما في بعض المصادر الأصلية كابن دحيه في كتابه المطرب[1].

منذ مطلع القرن التاسع الميلادي دأب القايكنج –الشماليون من أهل اسكندناوه– على شن الغارات بحراً على الجزر البريطانية وارلندا وشمال فرنسا وغربها كما أغارت جماعة منهم عام 229هـ/844م على غرب الأندلس وعرفوا بالمجوس وبالاردمانيين* وتمكن المغيرون من احتلال مدية إشبيلية ذاتها لمدة ستة أسابيع والعبث فيها فساداً، إلى أن أوقعت بهم قوات الأمير عبد الرحمن الأوسط هزيمة في معركة طلياطة وأجبرتهم على الجلاء عن الأندلس والعودة من حيث أتوا. وفي أعقاب هذه الهزيمة، وفد على قرطبة رسول ملك الفايكنج يطلب من الأمير السلم والصلح ورد الأمير عبد الرحمن بإيفاد سفارة إلى بلاط الفايكنج عام (230هـ/845م) على راسها الشاعر يحي بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال[2].

نشر الأستاذ ليفي بروفنسال في مجلة ربيزانسيون في سنة 1937م مقالاً عن سفارة يحي بن الحكم الغزال، وقد أنكر في مقاله ذلك ما كان الباحثون يعتقدون من أن هذه السفارة وجهت إلى بلاد النورمان في بعض البلاد الاسكندنافية الشمالية، وقال إن الصواب هو أن الغزال توجه في سفارة سياسية إلى البلاط البيزنطي في القسطنطينية، وقد اعتمد بروفنسال في ذلك على

---

(1) الرحيلي، المرجع السابق، ص152.

* المجوس أو النورمان: كانوا يغيرون على الأندلس من المنافذ النهرية، وقد ساهم المجوس لأنهم كانوا يشعلون النيران كثيراً فظن العرب أنهم يعبدونها، ويرجع النورمان إلى أصل جرماني، وينقسمون إلى ثلاث مجموعات السويديون والنرويجيون والدنماركيون، للتفصيل أكثر راجع على حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، ص141.

(2) ابن دحية: المصدر السابق، ص138-147.

نصوص كثيرة أهمها نص لابن حيان في المقتبس أما رواية ابن دحية في المطرب حول سفارة الغزال إلى بلاد المجوس فقد رفضها المستشرق الفرنسي وقال إنها أسطورة نسجها خيال ابن دحية، ثم كرر رأيه هذا في كتابه (تاريخ الأندلس)[1].

ولكن المؤرخين ظلوا مع ذلك مقتنعين بأن هناك رحلة للغزال تمت إلى بعض بلاد الشمال الأوربي، أما الخلاف بينهم كان حول تحديد المكان الذي توجهت إليه هذه السفارة فبعضهم يرجع أنه بلاط الملك الدنماركي هوريك في زيلندا والدانيمارك بينما يقول آخرون أنه بلاط (تورجسيوس النرويجي فاتح ايرلندا وقد قال بهذا ألين ماور بينما ذهب جيورج باكوب إلى أن سفارة الغزال إنما توجهت للقاء ملك النورمان في ناحية من نواحي جوتلاند الدانمارك، أما دوزي فإنه لم يحدد مكاناً لذلك اللقاء لكنه رجح دانيمارفة نفسها[2].

وتعرض لبحث هذه السفارة الدكتور حسين مؤنس في بحث له عظيم القيمة نشر في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية 1مايو 1949م المجلد الثاني – العدد الأول تحت عنوان (غارات النورمانيين على الأندلس).

وفيه أعاد بحث المسألة كلها من جديد، وأرخ تأريخاً كاملاً لعلاقات النورمان بالأندلس وغزواتهم لتلك البلاد، وناقش رأي ليفي بروفنسال في إنكاره لنص ابن دحية وأثبت أن خبر ابن دحية صحيح وأن سفارة عبد الرحمن إليه حقيقة تاريخية وقد انتهى بأن وصف ابن دحية لبلاد التي قام فيها يكون بلاط هوريك ملك دانيمرقة[3].

كما نشر الباحث الانجليزي ألن كتاب محاولة لإعادة تحقيق سفارة الغزال إلى بلاد المجوس، ولكنني أرى أنه لم يأت بجديد عن حسين مؤنس ألا في أشياء طفيفة كالمكان الذي توجهت إليه سفارة الغزال والايطالية[4].

---

(1) ألين، محاولة لإعادة، تحقيق: سفارة الغزال إلى بلاد المجوس (القايكنج)، محمود على مكي، د.ن (لندن، 1960م) ص48.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص28.

(3) نفس المرجع، ص62.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص88.

لذلك فأنني أرى عدة أمور هي خلاصة هذه السفارة أن المجوس القراصنة فقد كانوا أمة همجية متبربرة وطبيعي أن يكون للأندلس إغراء كبير، فقد كانت الأندلس في ذلك العهد أغنى بلاد أوروبا الغربية وأكثرها تحضراً، ولهذا بعد الاحتكاك الحربي لا يستبعد قيام علاقات تجارية بين الشعبين، فالأندلسيون يريدون بعض منتجات الشمال الأوروبي خصوصاً الفراء والعبيد الأقوياء وبعض الحرفيين كما اشتغلوا بتجارة الفراء والرقيق[1]، وهناك شيء أخر ربما يكون دليل قاطع في قيام علاقة ودية بين الجانبين وهو بعد إنهاء حالة الحرب قام المجوس بإرسال سفارة للأندلس لأنهاء حالة الحرب ورد عبد الرحمن الأوسط بإرسال سفارة وهو يعني بذلك الموقف السياسي في غرب أوروبا فنحن نعلم أن عبد الرحمن الأوسط في منتصف القرن التاسع الميلادي في حالة حرب مع ملك فرنسا شارل المعروف بالاصلع، وقد انتهت الغارات الفرنسية على حدود الأندلس الشمالية الشرقية إلى انتزاع برشلونة من أيدي المسلمين في سنة 229هـ/843م وكان المجوس خصوصاً الد أعداء للفرنسيين، فلا ريب من أن المصالح المشتركة أصبحت رابط سياسي قد تنبه لها عبد الرحمن الأوسط بحكمته وبعد نظره إلى ضرورة توثيق هذه العلاقة. وكان الغزال قد عاد قبل ذلك بسنوات من سفارة إلى بيزنطية واكتسب خبرة وتجربة دبلوماسية صالحة، ولهذا لم يكن من الغريب أن يعهد إليه الأمير الأندلسي بسفارة أخرى خطيرة إلى بلاد المجوس في الشمال[2]. ولا ننسى أن عبد الرحمن كان قد شرع في ذلك الوقت في إعداد حملات لمهاجمة جنوب فرنسا بعد ضياع برشلونة، وخير شاهد على ذلك الحملة التي جردها ضد مدينة اربونه في سنة 229هـ/843م وتأكيد لما سبق إن المجوس لم يلبثوا بعد ذلك أن هاجموا فرنسا مهاجمة عنيفة وصلوا فيها إلى باريس فاقتحموها ونهبوها بعد سفارة الغزال بسنة واحدة 231هـ/845م وفي نفس السنة غزا محمد ابن الأمير عبد الرحمن جليقية فحاصرها[3].

---

(1) ألين، المرجع السابق، ص51.

(2) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص63.

(3) ابن عذاري: المصدر السابق، 2، 88.

وفي الختام أنقسم الباحثون إلى ثلاثة فرق، فريق يرى أن الغزال ذهب في سفارتين إحداهما لبيزنطة في الشرق والأخرى إلى مملكة دانمرقة في الشمال بل أن هذه السفارات متصلة وهم الأكثرية منهم حسين مؤنس، وشاكر مصطفى وداوين هول وفازلييف[1].

وفريق يرى أن الغزال توجه في سفارة وحيدة إلى الدولة البيزنطية وينكر الأخرى وأشهرهم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال[2].

وفريق ثالث يرى أن سفارة يحي الغزال كانت إلى دانمرقة في الشمال ويعالج هذه السفارة يوضح دون أن يشير إلى رأيه في سفارة بيزنطة ومنهم إبراهيم العدوي وألين[3].

والرأي الأول أقرب للصواب تبعاً لروايات المصادر التاريخية وسردها لحوادث سفارة يحي الغزال وقد اتضح ذلك من خلال المناقشة السابقة لإحداث تلك السفارة وأهدافها. كما أن مخطوطة الجغبوب تدعم هذا الرأي حيث تقول أن الغزال عاد في نفس السنة إلى قرطبة.

وعند عودته كان الأمير عبد الرحمن في غزوة ولم يعد إلا في العام التالي[4] وهذا يعني أن الغزال بقي ربما سنوات ثم ذهب في سفارة إلى مملكة الديمرق بالإضافة إلى الفارقة الزمني بين السفارتين فأحداهما سنة 225هـ والأخرى سنة 230هـ كما ذكر ابن دحية[5]. لذى لا أرى مانع من أن يكون الغزال قام بهاتين السفارتين منفصلتين بفارق زمني أربع سنوات على الأقل.

---

(1) فازيلييف: المرجع السابق، ص164-165.

(2) مصطفى، ساكر: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، (الكويت، 1974م) 2، 558، 559.

(3) بروفنسال: المرجع السابق، ص113-114.

(4) مخطوطة الجغبوب، المصدر السابق، ص3.

(5) ابن دحيه، المصدر السابق، ص138.

- **سفارة الغزال:**

استقبل عبد الرحمن الأوسط السفارة البيزنطية بحفاوة بالغة واثنى على الهدايا التي بعث بها ثيوفيل، كما عبر عن شعوره بالفخر حيث ينظر إليه على أنه عاهل قوي ويحظى بالاحترام[1]، وبرع عبد الرحمن في اتخاذ قرار حاسم وسريع يدل على وعيه وبعد نظره للمستقبل.

لابد أن يرد على سفارة ثيوفيلوس بمثلها، وكذلك يرد على كتابه الذي حمله سفيره قرطيوس. فأوفد إليه صديقه وكاتبه الشاعر يحي الغزال إلى (القسطنطينية) ومعه يحي بن حبيب المعروف بالمنيقلة بكتاب وهدية للإمبراطور. وكان الغزال شخصية ممتازة بارعة الخلال والصفات، وفيه من الطرف ما يجذب الناس إليه كما سبق الإشارة إليه وقد تجاوز الغزال يومئذ الستين من عمره ولكنه لايزال يحتفظ بكثير من أناقته وروعته[2].

- **رحلة الغزال وصاحبه إلى القسطنطينية:**

لا يعرف الطريق الذي سلكته السفارة الأندلسية في ذهابها إلى القسطنطينية ولكن على الراجح –اعتماداً على نص ابن حيان– وهو رغم قصره بالغ الأهمية حيث يقول (وسار الغزال وصاحب المنيقلة عن طريق تدمير وسفير ملك الروم معهما ليركبا البحر من الشاطئ الشرقي)[3].

يعني هذا أن الوفد الأندلسي، وقرطيوس سفير الروم انتقلوا من قرطبة إلى مدينة مرسية* حيث أعد لهم مركباً مناسباً مزوداً بما يحتاجون وبالبحارة المهرة. فركبوا البحر نحو الشرق عبر المتوسط إلى جنوب صقلية فجنوب اليونان إلى بحر آيجة (Aegean sea) ثم إلى بحر مرمرة (Sea of Marmara) خلال مضيق الدردنيل (Dardanelies) حتى القسطنطينية، ولعله نفس الطريق الذي جاء منه قرطيوس، ورافقه الوفد الأندلسي عند عودته إلى بلاده، فوصلوا إلى

---

(1) الطقوش، المرجع السابق، ص232.

(2) عبد المنعم الهامشي: المرجع السابق، ص307.

(3) بروفنسال، المرجع السابق، ص105.

* مرسية: تقع قرب الشاطئ الجنوب الشرقي للأندلس، على البحر المتوسط، وهي مدينة محدثة بنها عبد الرحمن الأوسط، سنة (210هـ/825م).

القسطنطينية بعد رحلة بحرية شاقة لاقوا فيها الكثير من الأهوال كاضطراب البحر ورهبة الموج. فيقول الغزال عند ركوبه البحر، قصيدة انشدها أبو محمد بن حزم، قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مضاء للغزال:

قال لي يحي وصرنا ❖ بين موج كالجبال

وتولينا عُصُوف ❖ ومن جنوب وشمال

شقت القلعين ❖ وأنبتت غرى تلك الجبال

وتمطي ملك الموت ❖ إينا عن حيال

لم يكن للقوم فينا ❖ يا رقيقي رأس مالِ(1).

ولما وصل إلى (القسطنطينية) استقبله الإمبراطور بحفاوة شديدة، وقدم إليه الغزال كتاب عبد الرحمن وهديته، ويرد عبد الرحمن كتابه على كل ما جاء في كتاب الإمبراطور، فقرة مما سهل علينا استنباط رسالة الإمبراطور التي لم نحصل عليها، ويشير مثله إلى المأمون والمعتصم بأن مراجل ومرادة*، فقال عبد الرحمن في كتابه (وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن مارده، حضضت عليه من الخروج إلى ما قلته وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله، وزوال سلطانهم، وما حضر من وقت رجوع دولتنا، وأزف من حين ارتجاع سلطاننا، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا، ونستنجز موعودة إيانا، ونمتري، حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا، من أهل شأمنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا، وما لم نزل نسمع ونعترف، أن النقمة تنزل بهم والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى أيدينا، فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى)(2).

يحتوي نص كتاب عبد الرحمن على عدة أمور يمكن حصرها في النقاط التالية:

---

(1) الضبي، المصدر السابق، 2، 673.

* مراجل أم المأمون، مرادة أم المعتصم وكلتاهما جارية وأم ولد لدي هارون الرشيد، ويقصد بذلك الاستهزاء بهم واستحقارهم.

(2) بروفنسال، المرجع السابق، ص114-118.

- حقده على العباسيين، وتمني أن تهيء العناية الإلهية للأسرة الأموية في الأندلس الانتقام لنفسها منهم.

- حرصة على التعاون، وأنه سوف يرسل إليه اسطولاً حين تهدأ الأمور في بلاده، ولكن بدون أن يرتبط معه في محالفة عسكرية[1].

- عدم استطاعته طرد الأندلسيين الريفيين من جزيرة كريت لأنه لا ولاية له عليهم[2].

- تجنب الرد على طلبه فيما يتعلق بالأغالبة، لأنه من الصعب عليه أن يستنكر علانية حملات موجهة ضد غير المسلمين لإعلاء كلمة الله[3].

هناك استقبل الغزال في بلاط القسطنطينية، واسكن هو ومن معه في أحد قصور القسطنطينية، يسميه ابن حيان (أكاديمية من مرمر) حسبماً يقول بروفنسال[4].

أطلع الوفد الأندلسي – أثناء إقامته– على الأمور وتعرف على الأحوال وتحدث كل طرف عن وجهة نظر الطرف الآخر كما جال في شوارع القسطنطينية، ولعل قرطيوس كان هو رفيقهم ومترجمهم طيلة مكوثهم في القسطنطينية.

حدث للغزال في البلاط البيزنطي عدة أحداث نذكر منها أن الغزال اشترط لمقابلة توفلس ألا يسجد له ولا يخرجا عن سنتهما، فاحتيل على الأمر بتضييق الباب المؤدي إلى مجلس الإمبراطور عند دخول السفراء المسلمين للانحناء في خضوع له فتم تضيق الباب أمام الغزال فنجح في اختيار هذه المكيدة عندما جلس على الأرض وقدم رجليه في وجهه مقابليه وزحف على إليته فلما جاز ذلك الباب استوى قائماً[5]، وأعجب الملك من حسن تصرفه وقال: (أردنا أن نذله فقابل وجوهنا بنعليه ولولا أنه رسول لأنكر ذلك عليه) ولكن لم يُخف ابتسامته إعجاباً به

---

(1) الطقوشي، المرجع السابق، ص232.

(2) المقري، المرجع السابق، 1، 333.

(3) المصدر نفسه.

(4) بروفنسال، المرجع السابق، ص108.

(5) سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص238، 239.

قائلاً لرجال دولته المحيطين به: (كان الحكماء على حق في قولهم أن من شخصية الرسول يعرف سيده، إن هذا الأندلسي حكيم من حكماء القوم وداهية من دواهيهم)[1].

عندما تحدث الغزال مع ملك الروم توفلس، فأعجبه حديثه، وطلب منه أن ينادمه أي يشرب معه كأساً من الخمر، فامتنع عن ذلك، واعتذر بتحريم الخمر في دينه الإسلام، وكان يوماً جالساً عنده، وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها، وهي كالشمس الطالعة ستاءً، فجعل الغزال لا يَميل طرفه عنها، وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه، فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقال له: عرفه أني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإني لم أرى قط مثلها، وأخذ في وصفها والتعجب من جمالها، وأنها شوقته إلى الحور العين، فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عندها وسرت الملكة بقوله[2].

أمرت الملكة الترجمان أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان، وتجسم المكروه فيه وتغيير خلق الله، مع حلوّه من الفائدة فقال للترجمان: عرفها أن فيه أكبر فائدة، وذلك أن الغضب إذا زبد قوي واشتد وغلظ، وما دام لا يُفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً، فضحكت الملكة، وفطنت لتعريضه[3]. وقال في وصف هذه الملكة:

إني تعلقت بحسوسية ❖ تأتي الشمس الحسن أتغربا

يا نورد يا رود الشباب ❖ التي تطلع من أزراها الكوكب

فلما وصفها الترجمات الشعر الذي قاله فيها أعجبها ذلك كثيراً.

وهناك رواية تاريخية أخرى تروي أن الملك قدم له زوجته الإمبراطورة ثيودورا وإلى ولده الأمير ميخائيل الذي تولى العرش فيما بعد، وكان يومئذ فتى يافعاً، فأنست به الإمبراطورة وسحرته بجمالها كما نال أعجاب الأمير الفتى، وجاءته الملكة بالخمر وأمرته بمعاقرتها مع أبنها

(1) بروفنسال، المرجع السابق، ص106.

(2) المقري، المصدر السابق، 2، 258.

(3) المقري، المصدر السابق ، 2، 258، 259.

فامتنع وقال غير حائز في ديننا[1] وتتفق الروايتان على امتناع الغزال عن شرب الخمر وعدم استجابته لطلب مضيفيه، وهذا موقف نبيل من سفير مسلم يتقيد بتعليم دينه أمام غير المسلمين.

ويقول الغزال في تيودوراه ومخائيل القصيدة مطلعها:

وأغر لين الأطراف رخص ❖ جميل الطرف ذو عنق طويل

ترى ماء الشباب بوجنتيه ❖ يلوح كرونق السيف الصقيل

من أبناء الغطارف قيصري ❖ العمومة حيث ينسب والخؤول[2].

أنهى الغزال سفارته على أحسن حال وخير أداء وعمل على إحكام الصلة والمودة بين الإمبراطور وبين أميره، وسحر البلاط البيزنطي بكياسته وظرفه وبديع صفاته[3].

يمضي الوفد الأندلسي عدة أشهر إلى الأمير الأندلسي، يعود بها إلى حاضرة بلدة قرطبة مفضياً إلى الأمير الأندلسي، نتائج هذه السفارة وأنباء الرحلة المثيرة، كما قد بهرته مظاهر الحضارة البيزنطية وروعة البلاط البيزنطي، لكن لا نعلم بما عاد الوفد الأندلسي، وهل حمل رسالة أخرى من صاحب القسطنطينية إلى الأمير الأندلسي[4]. كل هذه الأمور نجهلها وتكتفي المصادر الإسلامية بذكر ذهاب وفد دون إعطاء تفاصيل قد تكن مفيدة لدى الدارس لهذا الموضوع.

ومن الأمور التي جرت مع الغزال في القسطنطينية عندما أراد الغزال أن يشرب في حضرة الإمبراطور الماء فقد موه له في كأس من ذهب مزدان بأحجار كريمة، فأحتفظ به لنفسه في كم عباءته، اتباعاً لعادة جارية لمثل هذه المناسبة. ولا يروق تصرفه هذا للإمبراطور، وحين برر الغزال ذلك التصرف أشار الإمبراطور عليه بالاحتفاظ به[5].

---

(1) ابن سعيد، على بن موسى: المغرب في حلى المغرب، شوقي ضيق، د.ن (القاهرة، 1953م) 2، 58.
(2) عبد المنعم الهاشمي: المرجع السابق، ص307، 308.
(3) الهاشمي، المرجع السابق، ص307.
(4) عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص69–70.
(5) بروفنسال، المرجع السابق، ص108، 110.

إن هذه الأمور يذكرها بروفنسال بأسلوب دون إيراد كلام ابن حيان بنصه[1]، مما يقلل من جودتها وهذا من الأمور التي تجعلنا لا نثق كثيراً في هذا المستشرق حيث أن الأمانة العلمية تقتضي أن ينقل النص عن أبي حيان كما هو وليس بالمعنى ليتسنى دراسته وتحليله بل هناك من اتهمه بتخلص من هذه المخطوطة ليبقي هو المصدر لهذه المعلومات.

ولكن الجديد هنا أيضاً ما ورد في مخطوطة الجغبوب وإليكم النص (قد كلف عبد الرحمن يحي الغزال ويحي المنيقلة بالذهاب للقسطنطينية وحملهم بكتاب وهدية وقد تضمن الكتاب).

بظهور هذه المخطوطة تتضح عدة أمور منها ما يتفق مع ما ورد في المصادر التي تم ذكرها سابقاً ومنها ما هو جديد.

أما ما يتفق مع المصادر هو أرسال سفارة برفقة البعثة البيزنطية وتحمل كتاباً وهدايا سنة 225هـ على راس هذه السفارة يحي الغزال ويحي المنيقلة[2].

أما الأمور التي إضافتها هذه المخطوطة فهي أن رد الأمير عبد الرحمن كان مبهجاً بشأن جزيرة اقريطش واسترجاع المشرق من العباسيين ولكن البيزنطيين يبدوا أن همهم هو استرجاع الجزيرة من أيدي الأندلسيين إذ بعث مع الغزال كتاباً يطلب فيه الأمير عبد الرحمن كف الامدادات عن الفاتحين الأندلسيين، أما الباقي فسوف نقوم به سوياً في الوقت المناسب[3]. ولكن الأمير لزم الصمة وربما هذا من الأمور التي تفسير ذلك الفتور في العلاقة بينهما قرابة القرن من الزمان.

وكذلك عند عودة السفارة من بيزنطة كان الأمير في غزوة في جليقة، ولم يعد إلا في العام التالي حيث غاب أربع أشهر فلم يلتقي بالغزال فور عودته، وأن الغزال غاب سبع أشهر

---

(1) المرجع نفسه.

(2) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط3 (بيروت، 1967م)، 282/3. وكذلك المقري، نفح الطيب (بيروت، 1968م) 346/1.

(3) مخطوطة الجغبوب، المصدر السابق، ص3.

بالإضافة إلى نوع الهدايا التي كان من بينها ساعة مطورة وربما كان مخترعها هو يحي المنيقلة* الذي يقال لقب لقتراعه ساعة بالإضافة إلى جواهر ووحلي كدلالة على غنى الأمارة كل هذه أمور جديدة زودتنا بها هذه المخطوطة لتوضح مسار تلك السفارة وما حدث فيها.

* يحي المنيقلة هو: يحي بن حبيب الذي تندر معرفتنا عنه فيصفه ابن حيان بـ (صاحب المنيقلة) والمنيقلة نوع من الساعات ولعل هذا يقودنا للظن بأن ابن حبيب كان علماً من علماء الرياضيات والفلك والعلوم التجريبية. عبد الرحمن حجي، المرجع السابق، ص67.

المبحث الثاني
السفارة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر

كان الخليفة عبد الرحمن الناصر سياسياً من الطراز الأول وقد عج بلاطه في قرطبة بالسفراء من كل الأنحاء وقد تبوأت قرطبة مكانة مرموقة بين مدن الدنيا في تلك الفترة وقد تحدث بعض المؤرخين بأكبر عن قرطبة في ذلك العصر، وما حققته من شهرة ومجد ذاكرين ما كان يجرب بها من مظاهر العظمة والأبهة والحضارات الراقية مقارنين بينها وبين مدن الغرب الأوروبي المتخلفة وشعوبها الضاربة في أطناب الجهل والتخلف[1] فبينما زينت قرطبة بالدور والقصور والسقائف والحمامات والأبنية والمنتزهات والحدائق بالإضافة إلى اللغة العربية والحضارة الإسلامية والعلوم في أوج عظمتها في قرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، في المقابل ذلك كانت اللغات الغربية وعواصمهم تمر بمحنة فمثلاً الكتابة يقتصر استعمالها وتعلمها على بعض الأديرة، وبذلك بلغت الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (316-350هـ/912-661م) إلى رقي حضاري وازدهار كبير، فوفدت عليه السفارات من كل حد وصوب فيقول ابن حيان (إن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الفخامة ورفعة الشأن، وهادته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية) [2].

عند الحديث عن السفارات في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر نعرف أنه واجه عدت أخطار وأعظمها الخطر الشيعي في المغرب جنوباً، بالإضافة إلى الدويلات المسيحية الإسبانية شمالاً والخطر النورماندي ولكن الخطر الأكبر كان من الفاطميين[3] ولذلك عمد الخليفة الناصر بعدة خطوات إيجابية لمحاربة النفوذ الفاطمي تتلخص فيما يلي:

أ- أعلن نفسه خليفة عام 316هـ بعد أن كان أميراً وتلقب بالناصر أمير المؤمنين.

---

(1) محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص246، 247.

(2) المقري، المصدر السابق، 366/1.

(3) على الشطشاط، المرجع السابق، ص185.

ب- تقوية الأسطول الأندلسي بحيث ينازع الأسطول الفاطمي في البحر المتوسط ويدافع عن سواحل الأندلس.

ج- تحصين الثغور الأندلسية الجنوبية لمواجهة المغرب.

د- احتلال المناطق المغربية المطلة على المضيق مثل طنجة وأمليلة سنة 317هـ/927م وكذلك مدينة سبتي سنة 319هـ/931.

هـ- تأييد ثورة أبي يزيد الخارجي وبث بذور الفتنة بين قبائل البربر في بلاد المغرب.

و- التحالف مع أعداء الدولة الفاطمية وهم ملوك أوروبا[1].

ما يهمنا هنا هو العلاقة مع الإمبراطورية البيزنطية.

أن الأخطار التي سبقت ذكرها من الأسباب التي جعلة الخليفة عبد الرحمن الناصر يوثق علاقته بالأباظرة البيزنطيين حيث قدمت سفارة بيزنطة من الإمبراطور قسطنطين السابع إلى الدولة الأموية في الأندلس واختلفت المصادر الإسلامية في تحديد تاريخ هذه السفارة على وجهة الدقة فيذكر ابن خلدون هذه السفارة على وجه الدقة فيذكر ابن خلدون أنها كانت في سنة 336هـ/947م[2].

ويرى ابن عذاري أنها كانت في السنة 338هـ[3] ويذكر ابج جلجل الذي عاش في القرن الرابع الهجري أنها في السنة 337هـ/948م[4] ويذكر ابن حيان أن هذه السفارة كانت في شهر سفر سنة 338هـ/949م وهنا يتفق ابن حيان وابن عذاري في سنة 338هـ كما يرى لسان الدين بن الخطيب أنها حدثت سنة 334هـ[5].

والاختلاف في الروايات لا يتجاوز الخمس سنوات وهو أمر لا يفسد للود قضية ولا يغير مجرى الأحداث.

---

(1) زاكية الراجحي، المرجع السابق، ص59.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، 309/4.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، 215/2.

(4) ابن جلجل، المصدر السابق، نقلاً عن ابن أبي أصيبعة، ص494.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، نقلاً عن المقري، ص366.

تختلف المصادر التاريخية حول هذه السفارة وتختلط ببعضها بالإضافة إلى أنها مقتطفات متناثرة فمثلاً لسان الدين الخطيب يقول (ووصل إليه "أي إلى الناصر" رسول ملك القسطنطينية العظمى، راغباً منه في إيقاع الموالفة. فقعد له المقعد الشهير، اذلي لم يتهيأ مثلهُ لملك قبله؛ فدخل الرسول عليه، وقد بهت لهول ما عاينه، ودفع إليه رسالته مودعة في درج ذهب كثيراً التصاوير، وكان الكتاب في رق سماوي اللون مكتوباً بالذهب، وعليه طابع ذهب، في أحد وجهيه صورة المسيح، وعلى الآخر صورة الملك قسطنطين) [1].

أما ابن خلدون واصفاً الاحتفال الذي إقامه الخليفة الناصر للوفد البيزنطي فيقول (رتبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكل، ويزن القصر الخلافي بأنواع الزينة واصناف الستور، وجُمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة والأعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم) [2].

وكذلك يقول النباهي واصفاً احتفال الناصر (إن الناصر لدين الله، لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم الأعظم، صاحب القسطنطينية عليه بقصر قرطبة، الاحتفال الذي شاد ذكره في الناس. أحب أن يقيم الخطباء والشعراء بين يديه بذكر جلالة مقعده ... وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه وولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه أمام نشيد الشعراء، فأمر الحكم صنيعته الفقيه محمد ابن عبد البر الكسيناني بالتأهب لذلك وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة وكان يدعي من القدرة على تألفي الكلام ما ليس في وسعه، وحضر المجلس السلطاني فلما قام يحاول التكلم بما رآه، بهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يهتدي إلى لفظة بل خشي عليه وسقط إلى الأرض.

فقيل لأبي على البغدادي إسماعيل بن القاسم، صنيعة الخليفة وأمير الكلام: قم! فأوقع هذا الوهي!، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه محمد ثم انقطع به القول،

---

(1) العريني: السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، (بيروت، 1982م) ص426، كذلك ابن عذاري، 213/2.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، 142/4.

فوقف ساكتاً مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه، فلما رأى ذلك منذر ابن سعيد* قام من ذاته فواصل افتتاح أب يعلي لأول خطبته بكلام عجيب، وفصل مصيب، يسحه سحاً كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة) [1].

مهما يكن من أمر فبالإمكان أن نشتق الحقيقة أو بعضها من خلال إشارات وردت في النصوص السابقة فربما قد يكون هناك أكثر من سفارة بين الأندلس وبيزنطة ومن المؤكد أن سنة 338هـ قد قدمة سفارة وذلك لورودها في أكثر من مصدر فيمكن القول أنه عندما ترامت إلى مسامح الخليفة الناصر أنباء وصول السفارة البيزنطية على الأندلس أوعز إلى أحد رجال دولته إلا وهو يحي بن محمد بن اليث بأن يلاقيهم عند نزولهم في مدينة بجاية على الشاطئ الأندلسي الشرقي وأن يرافقهم في الطريق إلى قرطبة ويذلل لهم الصعاب[2].

وأمر بأن يبالغ في استقبال الوفد البيزنطي وأن تظهر لهم الخلفة الأموية في عظمتها وهيبتها وفخامتها فلما كانوا على مشارف قرطبة تلقتهم كتائب الجيش في صفوفه طويلة على رأس كل كتيبة قائدها في أحسن عدة وعتاد[3].

وقد خصص للوفد قصر ولي العهد لضيافتهم والعبيد والخدم الذين اختيروا بعناية للإشراف على خدمتهم بأحسن ما يكون. وزين قصر الخلافة في قرطبة بأنواع الزينة كما ذكرنا سابقاً وأحاطت به الكتائب العسكرية في حله مميزه لإظهار عظمة الدولة وقوتها.

فلما تمت الترتيبات على أكمل صورة لاستقبال السفارة البيزنطية، وجاء يوم السبت الحادي والعشرون من ربيع الأول سنة 338هـ (أوائل سبتمبر 948م) وهو اليوم المشهود في تاريخ الأندلس حيث جلس فيه الخليفة عبد الرحمن الناصر في قاعة الاستقبال الكبرى المسماة بالمجلس الزهراء، وجلس على يمينه وشماله أبناؤه وكبار رجال الدولة، وحضر الوزراء والحجاب

---

* منذر بن سعيد البلوطي، يقول المقري عنه ممن يكرمه الناصر يجعله وولاه القضاء، المقري، أزهار الرياض، ص272، 273.

(1) النباهي: أبو الحسن بن عبد الله، تاريخ قضاة الأندلس الموقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1982م) ص66.

(2) المقري: المصدر السابق، 366/1.

(3) المقري: نفس المصدر ، 366/1.

والموالي والوجهاء وفي وسط روعة الاستقبال دخل السفير البيزنطي ومن معه، دهشوا من روعة المقام وفخامة الملك[1]، والدقة في التنسيق والترتيب بحيث ظهر هذا الحفل بزينة خيالية ورقي فائق، وسلموا رسالة إمبراطورهم الرسمية للخلفية الناصر لدين الله.

وجاء في مقدمة الرسالة (من قسطنطين وورمانس المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم إلى العظيم الاستحقاق المفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب الأندلس أطال بقاءه) [2].

وهذه الرسالة مكتوبة في رق مصبوع بلون السماوي، وقد كتبت بماء الذهب بالخط الإغريقي، وداخلها رقعة أخرى مكتوبه بماء الفضة وقد وصف فيها الهدية التي بعثها الإمبراطور للخليفة الناصر، وختم بطابع ذهبي* على أحد وجهيه صورة المسيح عليه السلام وعلى الوجه الأخر صورة الإمبراطور قسطنطين السابع وقرينه رومانوس الثاني ومن ضمن الهدايا التي اهداها الإمبراطور للخليفة كتاب دسفوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب ومكتوب بالإغريقي وكتاب هروسيس صاحب القصص وهو تاريخ للروم وفيه قصص الأباطرة الأوائل، وقد كُتب في الكتاب إلى الناصر أن كتاب دسقوريدس لا تجتني فائدته إلا بشخص يتقن اللغة الإغريقية، وأما كتاب هورسيس فعندك بالأندلس اللطينيين من يقرأ باللسان اللطيني، وسينقلوه إلى اللغة العربية[3].

وقد ذكرنا ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الثاني وبداء الاحتفال الذي يشرف عليه ولي عهد الخليفة ابنه الحكم تأكيداً على أهمية هذه المناسبة والتي كلف فيها الفقيه محمد نب عبد البر غير أنه اغشى عليه فأمر أبي علي القالي فلم يستطيع فنهض منذر بن سعيد البلوطي وخطب وأثنى على الخليفة الناصر وأن شعبه بحبه ويقدره بأجلال بسبب ما هم فيه من رغد العيش والاستقرار والأمن والأمان ووقوفه على أمور الدولة بنفسه ثم أكد على الانسجام بين الخليفة وشعبه وأنه في الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف وانهيار وبفضل هذا الانسجام انتصرت

(1) الرحيلي، المرجع السابق، ص156.

(2) المقري، المصدر السابق، ص157، 158.

* وزنه أربعة مثاقيل، الرحيلي، المرجع السابق، ص156.

(3) المقري، المصدر السابق، ص157، 158.

الأندلس على أعدائها المتربصين بها، والغرض من عرض كل تلك الأمور هو اطلاع الوفد البيزنطي على الاستقرار والازدهار الذي وصلت إليه البلاد كان ذلك بأسلوب في غاية البلاغة والأداء فأعجب الخليفة وضيوفه وكل سمعهُ[1].

وعند انتهاء هذا الحفل الذي تضل بعض خفياه غامضة مثل المدة التي قضاه هذا الوفد وعدد أفراده واسمائهم والأهداف الحقيقية وراء هذه السفارة غير تجديد الصلة والموادعة كل هذه أمور نجهلها ولا نجد لها أثر في المصادر التاريخية.

أما عن رد الخليفة الناصر على هذه السفارة البيزنطية فقد بعث رسلاً بهدية ورسالة وهي مشابه إلى حد كبير للسفارة البيزنطية أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة 225هـ وربما سلكت هذه السفارة نفس طريق الذي سلكته السفارة في عهد الإمارة، ونستشف رد الخليفة من نص ابن خلدون وكذلك اسم من أرسله الخليفة إلى الإمبراطورية البيزنطية وهو (تم انصرف هؤلاء الرسل، وبعث معهم هشام بن كليب الجاثليق ليجدد الهدنة، ويؤكد المودة ويحسن الإجابة) [2].

كما ذكر ذلك ايضاً إلا أنه اختلف عند الاسم فيقول (ثم انصرف هؤلاء الرسل، وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الإجابة) [3].

يتضح من هذين النصين أن الخليفة الناصر قد أعرب عن قبوله عرض الصداقة والمودة بأرسال سفارة جوابية تحمل رسالة وهدية فخمه دون معرفة نوع الهدية ولا فحوا الرسالة.

أما عن السفير الذي بعثه الخليفة الناصر فنجهل هل معه رفيق أو أكثر والأسماء السفراء ذكرها المقري أو ابن خلدون لا نعرف عنه شيء سواء من حياتهم الشخصية أو عن وظيفتهم في الدولة ولكن عبد الرحمن حجي يقول أن كلمة (الجاثليق) في الاسم الذي ورد في نص ابن خلدون مأخوذ من الكايوليكي، لعله مسلم من أصل نصراني أم نص المقري الذي يذكر

---

(1)المقري، المصدر السابق، 365/1.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، 310/4.

(3) المقري، المصدر السابق، 365/4.

فيه اسم السفير هشام بن هذيل فهو أخ يحي بن هذيل الشاعر الكبير المعروف المتوفي سنة 386هـ[1] ولكن ذلك يلزمه دليل ولا يوجد دليل على ذلك.

ويمكن تلخيص ما سبق في أن السفارة الأولى بين الإمبراطورية البيزنطية والأندلس في عصر الخلافة كانت سنة 338هـ ويدعم ذلك أيضاً ابن جلجل (فلما جاوب الناصر أرمانيوس الملك سأله أن يبعث إليه برجل يتكلم بالإغريقي واللطيني يكونون مترجمين فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمى نقولا، فوصل إلى قرطبة سنة أربعين وثلاث مائة) [2] وهذا التاريخ يتفق مع أن هذه السفارة سنة 338هـ أي أن سنتين كافية ليصل المترجم نقولاً إلى الأندلس.

قد رأينا في السفارة البيزنطية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط أن المودة والصداقة هي عبارة عن مجاملة سياسية لأكثر وأن الهدف الحقيقي الذي اتضح لنا هو تحرير الجزيرة من الأندلسيين المسلمين فبتأكيد كانت هنا أيضاً أهداف أخرى وربما لنفس الغرض لأن الإمبراطور قسطنطين قد أعد حملة ضد فاتحي جزيرة كريت، فأرد من هذه السفارة أما الحصول على الدعم من الخليفة الناصر أو حتى عدم دعمه للأندلسيين الفاتحين[3].

وهناك بعض العلماء على رأسهم عبد الرحمن حجي يذهبون إلى أن أهداف هذه السفارة تقتصر على الجانب الثقافي خاصة وأن الأندلس أصبحت منارة في العلم وأن الإمبراطور قسطنطين السابع كان شغوفاً بالعلم والفن وجميع الأمور الثقافية ولهذا كانت هديته ثقافية تتضمن كتب سبق الإشارة إليها ويقال أنه أمضى نحو ربع قرن من حياته بين الكتب وأبحاثه وذلك قبل وصوله للعرش[4]. وهنا أرى أنه لا مانع من اعتبارها سفارة سياسية ثقافية.

---

(1) عبد الرحمن حجي، المرجع السابق، ص81.

(2) ابن أبي أصيبعة، المرجع السابق، ص494.

(3) السيد الباز العريني، المرجع السابق، ص425.

(4) عبد الرحمن حجي، أندلسيات، دار الإرشاد (بيروت، 1972م) ص46.

الخاتمة

الخــاتمــة

من الواضح أن الدولة البيزنطية، خصيمة الدولة العباسية في المشرق، كانت تعتقد أنها عن طريق السلك الدبلوماسي الذي أخذت هي المبادرة به، تستطيع أن تصل بتفاهمها مع حكومة قرطبة الإسلامية، إلى بعض النتائج العملية في مقاومة خصيمتها المشتركة؛ ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق هذا الهدف.

كان من المأمول أن تدركه أو تتوقعه قبل تجشم عبئه، لما رأت من طبيعة الارتباط بين العالم الإسلامي الذي مافتأ يعطي الأدلة ويقدم الأمثلة لمثل هذا الموقف. فالدين الإسلامي يحرم على المسلم التحالف أو معاونة غير المسلمين على المسلمين الذي يحاربون من أجل إعلاء كلمة الله، ومن يفعل ذلك سيفقد الحاضنة الاجتماعية والتأييد من المسلمين لأنه خالف بذلك صريح القرآن الذي قال فيه تعالى: ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ سورة آل عمران، الآية 28.

حاول بعض الكتاب الغربيين وتابعهم آخرون معتمدين بما اعتمدت عليه على هذه السفارة وما قيل أيضاً من تبادل الهدايا والسفراء بين شارلمان (151–199هـ/768–814م) والرشيد (169–193هـ/785–809م) إيجاد صورة خيالية عن علاقات قامت في شكل معاهدات مزدوجة فنقسم العالم إلى قسمين حلف ضم الأندلس والقسطنطينية من جهة ضد حلف أخر يربط الخلافة العباسية والدولة الكرولونجية.

قيل منذ أيام الرشيد وشارلمان، مع عدم توفر إشارة لهذا عند المؤرخين المسلمين المشارقة والمغاربة بما فيهم الأندلسيون، فإن طبيعة العالم الإسلامي وارتباطه ومجريات أحداثه التاريخية لا تسمح لهذا الافتراء، وقد تعرض بعض الدارسين لهذا الموضوع وناقشوه فلم يكن إلا ضرباً من الوهم والخيال ينقله إلى مصاف الأسطورة.

أرى أن هذا الموضوع يمكن أجماله في النقاط التالية:

1- إذا كان هناك تحالف بين الرشيد وشارلمان منذ عام (182هـ/798م) ليس من المعقول أن يبقي البيزنطيون والأمويون دون تحالف قرابة النصف قرن (225هـ/840م) إذا سلمنا بوجود ذلك أصلاً عن المسلمين.

2- لم يفكر الرشيد في استرجاع أفريقية (تونس)، والمغرب وتخليه عن السلطة الفعلية فيها حتى يفكر في استرجاع الأندلس.

3- أن من يدعون أن مسيحي الشام كانوا خطراً على سلامة الدولة في عهد الرشيد فأين الدليل على ذلك.

4- لا يمكن للرشيد أن يثق في ذلك الغريب لاسترجاع الأندلس ولا لعبد الرحمن الأوسط أن يثق في توفلس لاسترجاع المشرق، مع عدم جواز التحالف مع غير المسلمين كما ذكرنا سابقاً ودللنا عليه.

5- كان الرشيد هو المنتصر على البيزنطيين قبيل فتح العلاقات حتى اضطرهم إلى دفع الجزية سنة (183هـ/798م) .

6- عدم وجود خطر حقيقي على الأندلس من الدولة العباسية وإنما العدو قريب جداً وخطره وشيك وهم الفرنجة الذين ما تنفك تنقطع غاراتهم عن الأندلس والمواجهة بينهم مستمرة.

7- إن القول بوجود تحالف يستوجب دليل وليس تكهن، التحالفات الدولية بعد نقضها وإنهائها، ولا دليل في كلتا الحالتين حيث لم يظهر ذلك لا عند العباسيين والفرنجة ولا الأمويين والبيزنطيين.

8- أكبر دليل على عدم وجود تحالف ذلك الفتور في العلاقات الأموية البيزنطية مدة تزيد على قرن من الزمان حيث لا يوجد اتصال بين سفارتي الغزال وقراطيوس (225هـ/840م) إلا في عهد الخلافة أيام عبد الرحمن الناصر (336هـ/947م) تلك الفترة التي ظهر فيها ضعف الدولة العباسية ولم تعد تشكل خطر على الدولة البيزنطية ولكن السبب المحوري هو جزيرة اقريطس

التي ضلت تحت سيطرة الأندلسيين ولذلك أرى أنه هو السبب الرئيسي للعلاقة البيزنطية الأندلسية خلال عصري الخلافة والإمارة وهذا ما أكدته المخطوطة الجغبوب أيضاً.

كل هذه الأسباب وغيرها تجعلنا لا نقر بوجود تحالف سياسي بمفهوم الحديث بين القوى سابقة الذكر ولا تنفي وجود صلات ودية وحدوث تقارب بين هتين القوتين، ولكنه لا يرقى لمستوى التحالف، كما لا ننكر أن البيزنطيين والفرنجة الذين بدأوا بهذا الاتصال الدبلوماسي قد سعوا بشتى الطرق للوصول لتحالف تحقق من خلاله مصالحها.

لكن القوى الإسلامية في المشرق والمغرب الأندلسي، لم يروق لهم ذلك التحالف واهملوه بطريقة دبلوماسية تتماشي مع مصالحهم، وربما للأسباب التي سبق ذكرها.

وخلاصة القول لا يمكن أن ننكر عدم وجود أي صلة أو علاقة سياسية، لأننا نعلم عن طريق المصادر الإسلامية أنه حدث اتصال وليس تحالفاً دون توضيح أكثر والقول بوجود تحالف يستوجب دليل ولا دليل على ذلك.

أما عن المواجهة العسكرية فلم يحدث أن ساعدت الدولة الأموية في الأندلس أعداء بيزنطة؛ إلا مرة واحدى عام (217هـ/829م) إذ خرجت حملة من طرطوسة، واشتركت في الهجوم على صقلية لكنها سرعان ما انسحبت من القتال، وكانت الدولة العباسية في تلك الفترة هي القوة التي تناصب العداء للبيزنطيين، فما كان من حكام قرطبة إلا معاداة العباسيين، ومصادقة البيزنطيين، وبذلك فإن العلاقات بين الأندلس وبيزنطة ظلت علاقة صداقة ومودة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- ابن أبي صبيعة:

أحمد بن القاسم السعدي (م: سنة 668هـ/1269م).

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1965م).

- ابن الأبار:

أبو عبد الله محمد عبد الله (م: سنة 658هـ/1260م).

- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف (القاهرة، 1985).

- ابن الأثير:

عز الدين أبي الحسن على بن أبي كرم (م: سنة 630هـ/1232م).

- تاريخ ابن الأثير، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار (الرياض، 2012م)

- ابن حجر:

أحمد بن مكرم (م: سنة 852هـ).

- لسان العرب، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب.

- ابن حيان:

أبو مروان بن خلف بن حسين (م: سنة 469هـ/1076م)

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق محمود على مكي (القاهرة، 2010م).

- ابن الخطيب:

لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (م: سنة 776هـ/1374م).

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2012م).

- ابن خلدون:

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (م: سنة 808هـ/1405م).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1967م).

- ابن دحية:

أبو الخطاب عمر بن حسن (م: سنة 663هـ/1265م).

- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون، وزارة التربية (القاهرة، 1954م).

- ابن الزبير:

رشيد الدين أحمد بن على (م: سنة 562هـ/116م).

- كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر (الكويت، 1959م).

- ابن سعيد:

على بن موسى المغربي (م: سنة 685هـ/1286م).

- المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العالمية، (بيروت، 1997م).

- ابن عذاري:

أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيا إلى سنة 712هـ/1347م)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولا (ليدن، 1951م).

- ابن الفراء:

أبو على الحسين بن محمد (م: خلال القرن الثالث هجري).

- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1993م).

- ابن القوطية:

أبو بكر محمد بن عامر (م: سنة 367هـ/1977م).

- تاريخ أفتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنس الصباع، (بيروت، 1958م).

- ابن منظور :

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (م: سنة 711هـ/1319م).

- لسان العرب، دار صادر ، (بيروت، د ت).

- أبو يوسف:

يعقوب بن إبراهيم (م: سنة 733هـ)

- كتاب الخراج، دار الثقافة الإسلامية (بيروت، د ت).

- الاتاباكي:

جمال الدين يوسف بان تغري بردي (م: سنة 874هـ/1469م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، 1932).

- البغدادي:

الخطيب _م: سنة 463).

- تاريخ بغداد، تحقيق: عبد العزيز توفيق، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1997م).

- الجاحظ:

عمرو بن بحر بن محبوب (م: سنة 255هـ/868م).

- كتاب التاج في أخلاق الملوك، أحمد زكي باشا (القاهرة، 1914م).

- الجوزي:

أبو الفرج عبد الرحمن (م: سنة 597هـ/1200م).

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف (الدكن، 1962م).

- الحميدي:

عبد الله محمد بن أبي نصير (م: سنة 488هـ/1056م).

- جذوة المقتبس في ذكر ولات الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة المصرية (بيروت، 2004م).

- الدينوري:

ابن قتيبة.

- كتاب عيون الأخبار، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1925م).

- الرازي:

محمد بن أبي بكر بن القادر.

- مختار الصحاح، ترتيب: محمود خاصر، دار الكتب المصرية (د م، د ت).

- السيوطي:

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (م: سنة 911هـ/1505م).

- تاريخ الخلفاء، دار المنار (د م، 2003م).

- الضبي:

أبو جعفر أحمد بن يحي بن عمير (م: سنة 599هـ/1203م).

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة، 2008م).

- الطبري:

أبو جعفر محمد بن جرير (م: سنة 310هـ/922م).

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة، 1979م).

- العذري:

أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي (م: سنة 478هـ/988م).

- نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني، (مدريد، 1965م).

- القرطبي:

عريب بن سعد.

- صلة تاريخ الطبري، مطبعة أبريل (ليدن، 1897).

- الكندي:

أبي عمر بن يوسف (م: سنة 355هـ/961م).

- الولاة والقضاة، روفن جست (بيروت، 1908م).

- مؤلف مجهول:

- مخطوطة الجغبوب (الجغبوب، د ت).

- مجهول:

- أخبار مجموعة في ذكر الأندلس وأمرائها، لافوينتي (مدريد، 1867م).

- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثني (بغداد، د ت).

- المسعودي:

أبو الحسن على بن الحسين (م: سنة 346هـ/957م).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس (بيروت، 1978م).

- المقري:

أحمد بن محمد التلمساني (م: سنة 1041هـ/1631م).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، 1949م).

- المقريزي:

تقي الدين أحمد بن على (م: سنة 845هـ/1442م).

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأمراء الفاطميين الخلفاء، جمال الدين الشيال (القاهرة، 1973م).

- النويري:

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (م: ستة 833هـ/1332م).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، عبد العزيز الاهواني، الهيئة العالمية للكتاب، (القاهرة، 1983م).

- الواقدي:

أبو عبد الله محمد (م: سنة 207هـ/822م).

- فتوح الشام، مكتبة المعارف (بيروت، 1966م).

- اليعقوبي:

أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (م: سنة 284هـ/)

- تاريخ اليعقوبي (ليدن، 1883م).

ثانياً- المراجع:

- الأبيض: أنس

- بحوث في تاريخ الحضارة، دار الكتب (القاهرة، 1971م).

- أليون:

- محاولة لإعادة تحقيق سفارة الغزال إلى بلاد المجوس (الفايكنج) محمود علي مكي (لندن، 1960م).

- الحايك: سيمون

- عبد الرحمن الأوسط، المطبعة البوليسية (لبنان، د ت).

- حجي: عبد الرحمن علي

- العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 22.

- حسن: إبراهيم حسن

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل (بيروت، 2001م).

- الراجحي: زكية عبد السلام

- العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية، منشورات قاريونس (بنغازي، 2008م).

- ربيع: حسنين محمد

- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 1983م).

- الرحيلي: سليمان
- السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، مكتبة التوبة (الرياض، 1992م).
- العلاقات السلمية بين الدولة العباسية وأوروبا في العصر العباسي المبكر، بن سعود الإسلامية (الرياض، د ت).
- زعرور: إبراهيم
- تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق (دمشق، 1990م).
- زيدان: جرجي
- تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال (نوبار، 1992م).
- ساكر: مصطفى
- دولة بني العباس، وكالة المطبوعات (الكويت، 1974م).
- سالم: عبد العزيز
- دائرة معارف الشعب، مطابع الشعب (د م، 1959م).
- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب (الإسكندرية، 1993م).
- ستيفن: رنسيمان
- الحضارة البيزنطية، عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية، ط2 (القاهرة، 1997م).
- سعيد: نادية
- موسوعة هارون الرشيد، دار المعرفة (الإسكندرية، 1991م).
- السويدان: طارق
- الأندلس التاريخ المصور، الإبداع الفكري (الكويت، 2006م).
- السويكت: سليمان عبد الله
- كتاب الصوائف، دار النهضة العربية (بيروت، 1986م).

- شافعي: سلام محمود
- أهل الذمة في مصر (القاهرة، 1974م).
- الشطشاط: على حسين
- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة دار القباء الحديثة (بنغازي، 2009م).
- شهاب: بشر سلطان
- حقوق السفراء والرسل ودورهم في حل النزاعات الدولية (تكريت، 2014م).
- الشيخ: محمد محمد مرسي
- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية (بيروت، 1982م).
- سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية (الرياض، 1979م).
- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، ط3، مؤسسة الثقافة (الإسكندرية، 1990م).
- صقر: نادية حسني
- السلم في العلاقات العباسية البيزنطية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة، 2004م).
- الطقوش: محمد سهيل
- تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس (بيروت، 2010م).
- العبادي: أحمد مختار
- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية (بيروت، 1978م).
- العدوي: إبراهيم أحمد
- الدولة الإسلامي وإمبراطورية الروم (د م، 1958م).
- المسلمون والجرمان، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994م).

- عطا: زبيدة

- الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعي (الإسكندرية، د ت).

- علي: أحمد إسماعيل

- تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، دارسة سياسية اجتماعية اقتصادية فكرية عسكرية، دار دمشق (دمشق، 1994م).

- عنان: محمد عبد الله

- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1997م).

- مواقف حاسمة في تاريخ الدولة الإسلامية، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1998م).

- يحي الغزال، مجلة الثقافة، العدد 261، محرم 1363م.

- غنيم: اسمت

- الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعارف (الإسكندرية، د ت).

- فازيلييف:

- العرب والروم، تحقيق محمود عبد الهادي شعيرة (د م، د ت).

- ليفي: بروفنسال

- الإسلام في المغرب والأندلس، تحقيق: السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة الشباب الجامعية (الإسكندرية، 2012م).

- محبوبة: عبد الهادي محمد رضا

- نظام الملك الحسن بن على الطوسي الوزراء في الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية (د م، 1991م).

– مؤنس: حسين

– معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد (القاهرة، 2015م).

– تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية (القاهرة، 1993م).

– موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ وفكر وحضارة وتراث، الثقافة الدينية (القاهرة، 1996م).

– نجم: جمال جميل

– أحكام الرسل، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1985م).

– الهاشمي: عبد المنعم

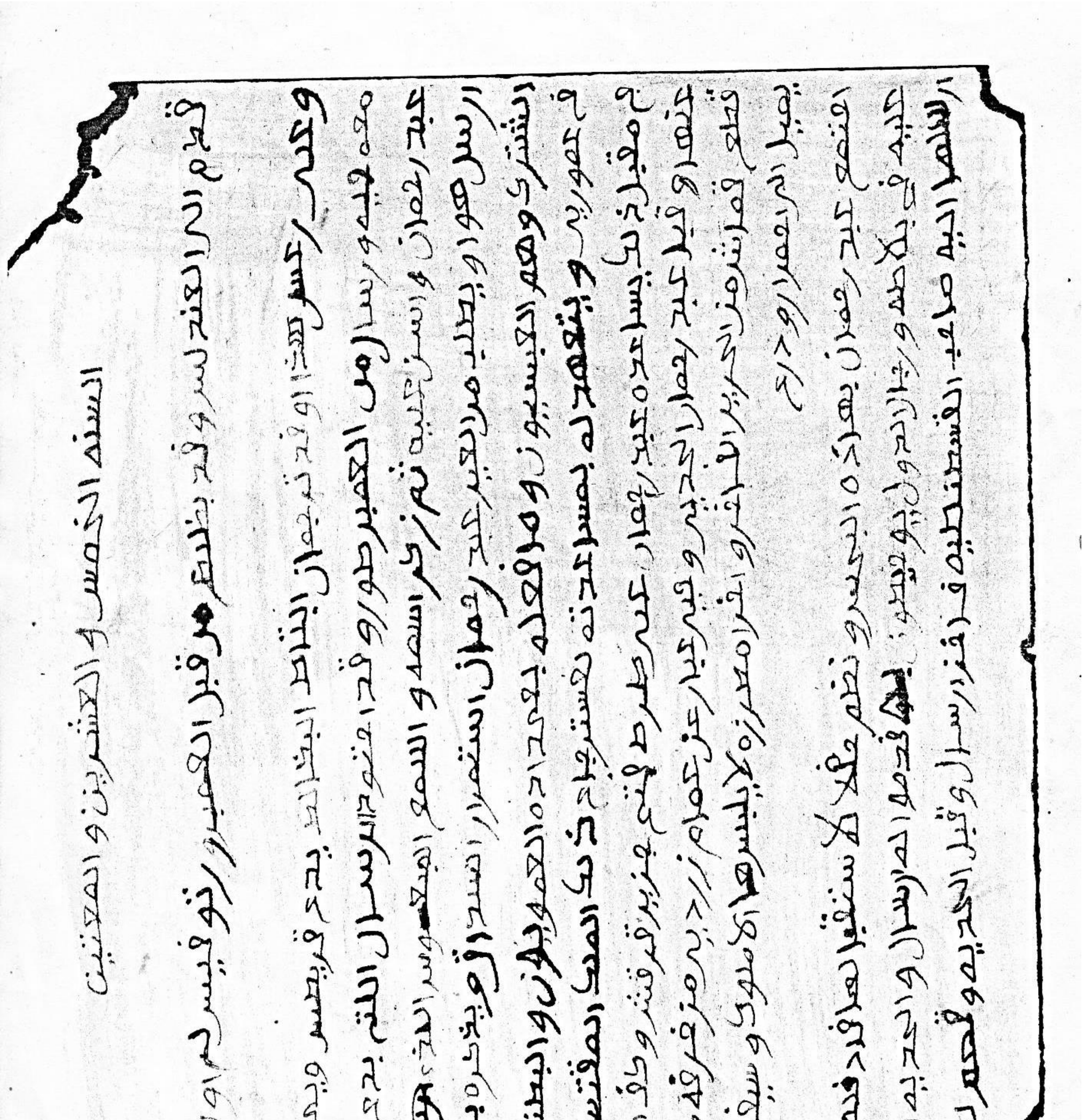
– الخلافة الأندلسية، دار ابن حزم (بيروت، 2007م).

– يوسف: جوزيف نسيم

– الإسلام والمسيحية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1991م).

المـلاحـق

الملحق (1)


السنة الخمس والعشرين والمائتين

مؤلف مجهول، مخطوطة الجغبوب

مكان لاقامتهم وجالت هذه البعثة في شوارع قرطبة التي سحرتهم

بجمالها وبهروا ببلاطها فمكثوا في قرطبة قرابة الشهر ثم عادوا
يصحبون معهم ميقسون من عبد الرحمن معهم كتاب للامبراطور
وهدايا ردا على ما فعله صاحب القسطنطينية وقد كلف عبد ربه
الغزال بنقل الهدايا بزيارته الى صاحب القسطنطينية وحملهم بكتاب وهدايا
وقد تضمن الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكبير عبد الرحمن على تيوفيلوس صاحب القسطنطينية ردا على رسالتك
السابقة [illegible] هذا الكتاب غير مستتر الامر بسلامة والحمد لله
[illegible] تحمله يشان فاتيم جزيرة قريبة فاذا هذا العمور في العقد ليس
فسوف تنظر في العمور هذا الكتاب وسفيريه ارسل هما لحسن صنيعكما
وقد اظهر عبد الرحمن زكاء وتقدير الحسن للعمور
فتحمل السفير بالبسط وميقوس عبد الرحمن من قرطبة الى مينا مرسية
وركبوا البحر على القسطنطينية ولقيوا الاهوال في طريقهم

وقد جهز الامبراطور لاستقبال الوفد وهيئ بهم واحتفى عليه وهو

جاء السر عبد الرحمن وبو يجيبون به الوزير فستلم رساله والهدايه التي كان
من بينها ساعة مطلور وبعض الحليه والجواهر النفيس ومكنسة القرية
الشرق وجاء الوافد القسطنطينية ثم عادوا في نفس السنة ومعهم كتاب من الامبر
طور ينضمن هذا الكتاب سير الامبراطور في المستقبل وجاء في
قد علمنا من كتابك وسفيرك ونعلم من ثم كف الحمد اذ اعطف فاهدي جزيرة
قرطبة اما البرقة فسوف نقوم به سوى في الوقت المناسب وعند رجعهم
بعد سنة بعد قيام دام سبعة الشهر قدم عبد الرحمن فتح الكتاب
ولكنه لزم الصمت ولاكن السنة عودة القيران لم يكن عبد الرحمن هو
جد اقي في قرطبه حين كان في غزوه قاد هو بنفسه الى جليقية وفتحه هو
هو وغنم وسبع ولم يعود الا في العام التالي حيث بقى اربعة اشهر

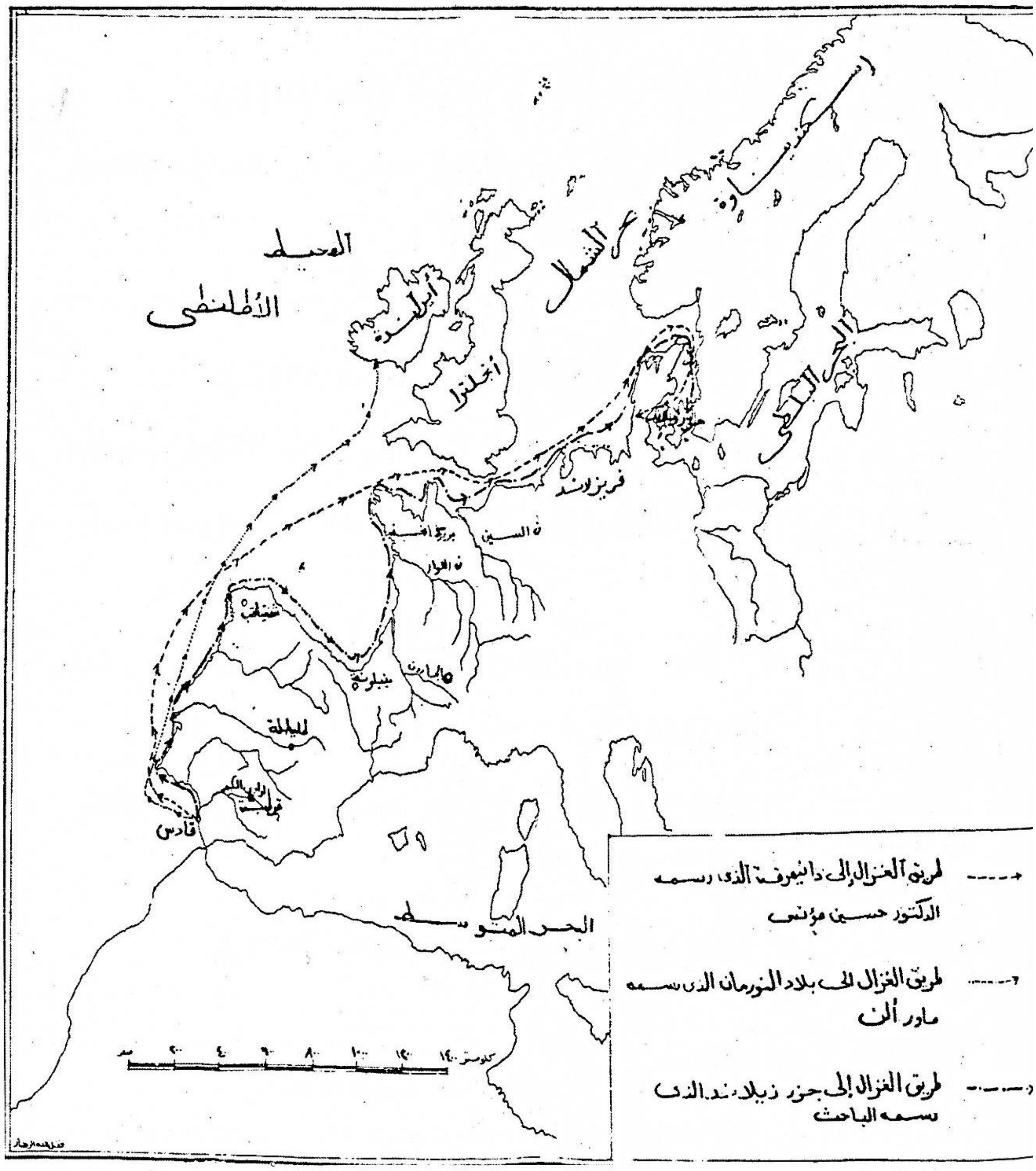
السنة السادسة والعشرون بعد مبعثه

عاد عبد الرحمن منتصر غانم من غزوته تلك وارسله ابنه ويجيش عظيم
وذلك لتوطيد الاسلام واظهار هيبة المسلمين ونشر الاسلام في ترك

المجوس الغند سر وتصدع لهم المسلمون حبيس جاء في سمانين

سفينه وهاجموا الشبونه ثم توجه نحو قادس ودارة بينهم معارك
ضاربة انتصر فيها المجوس ووصل اشبيليه عن طريق الواد الكبير
و مكثوا فيها عشر الايام يعبثون فيها فسادا ولم ما وصل
الخبر الامير عبد الرحمن بعث بجيشا ن والتقاهما يا فرقل بدابه
انتصر المجوس ولكن تحيل لهم المسلمون فخ ورموهم بل
منجنيقة فانتصر المسلمون وقتلوا ربعين من المجوس
ثم دارة معرك فاصله قتل فيها قائد المجوس وغنم المسلمون
غلب السفن الراحلة وطردوا السبعة عشر سفينة الثلاثة من بقيه
المسلمون وهربوا الى بلادهم بعد قرابة خمس واربعون يوما
كتب عبد الرحمن كتابا يعلن فيه ان انتصار المسلمون على
المجوس وارسله راس قائدهم الى ملك المجوس واهتم
عبد الرحمن بصناعة السفن بعد ذلك وانشاء دار لصناعتها
في اشبيليه لاول مره في تعريف الاندلس

الملحق (2)



* أبو الفضل: محمد أحمد، دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1996م)، ص 81.

Abstract

From the foregoing it is clear that the Byzantine state believed that through the diplomatic corps that was initiated by it can bring its concepts with the Islamic government of Cordoba to some practical results in resisting its opponent Abbasid state but failed to do so because of the inviolability of Muslim assistance to non-Muslims and this makes the link Between the Islamic world is stronger than any alliance, whatever its constituents.

In sum, we cannot deny the absence of any time limit or political relationship, because we know through Islamic sources that there has been communication and not an alliance without further clarification and saying that there is an alliance that requires evidence and no proof on that.

Political relations between the Umayyads of Andalusia and the Byzantines

(225 AH / 839 AD to 340 AH / 352 AD)

Submitted by:

miftah eisaa miftah bwadbir

Supervised by Prof. Dr. :

Abdel Fattah Ragab Bolayed

Research submitted for the fulfillment of requirements for obtaining a master's degree in Islamic history.

University of Benghazi

Faculty of Arts

Department of History

Des 2018